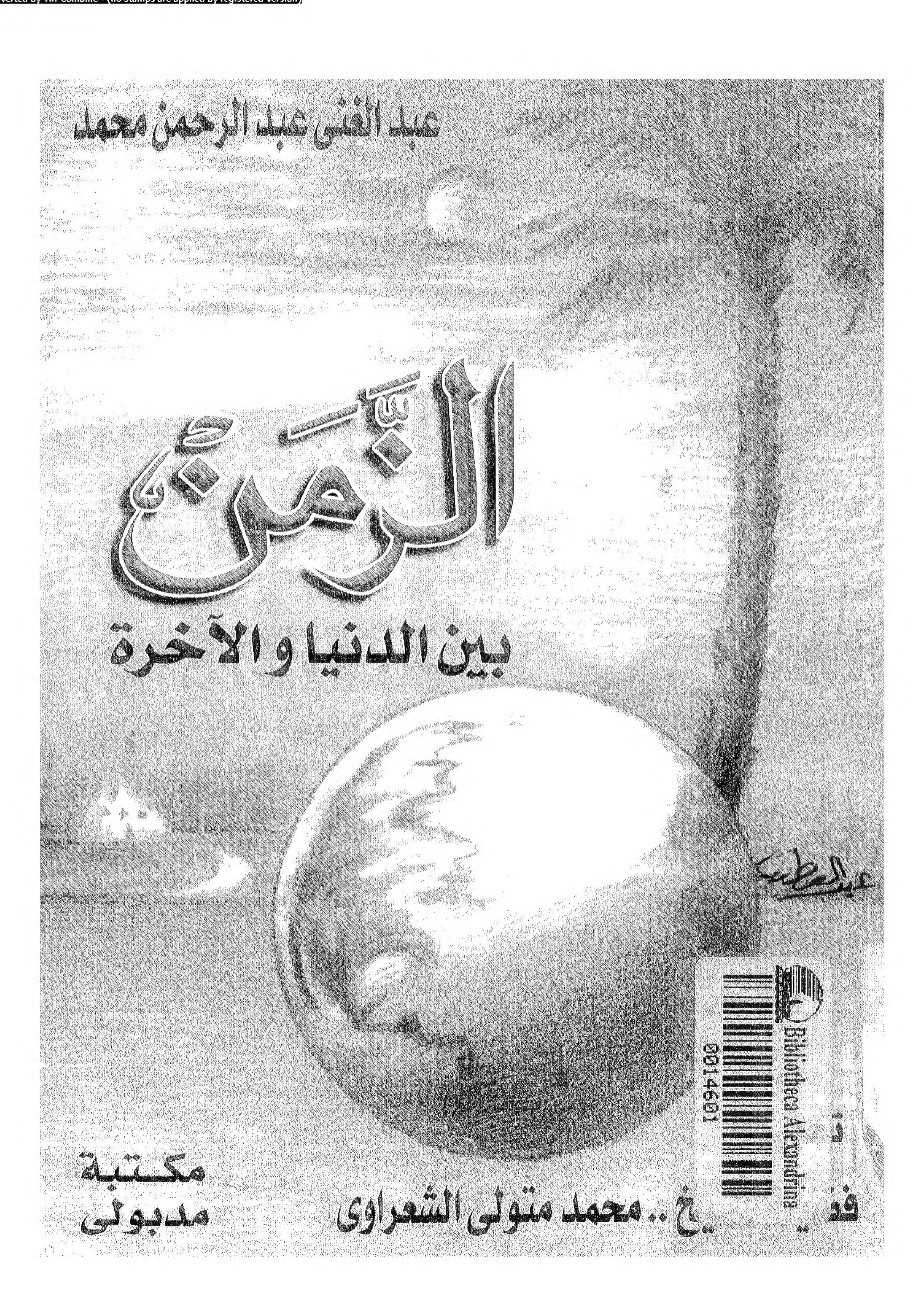

عبد الغنى عبد الرحمن محمد
الزمن
بين الدنيا والآخرة
فد ... يخ .. محمد متولى الشعراوى
مكتبة
مدبولى
Bibliotheca Alexandrina
0014601



الزَّمَن

بين الدنيا والآخــرة

الكتاب : الزّمن بين الدنيا والآخرة
تأليف : عبد الغنى عبد الرحمن محمد
تعليق : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى
الطبعة : الأولى ١٩٩٤
الناشر : مكتبة مدبولى ـ ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة
ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع : ٩٧/٨١٨١
الترقيم الدولى : ISBN - 8 - 212 - 208 - 977
الجمع التصويرى ، دار جهاد ٢٦ ش إسماعيل أباظة – لاظوغلى
والتنسيق الداخلي : ت: ٣٥٦٤٧٨٣



تأليف :
عبد الغني عبد الرحمن محمد

فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوى

الناشر
مكتبة مدبولي
١٩٩٧



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ (صدق الله العظيم) [سورة الحشر]

مقدمة ..

للسادة القراء الأعزاء أقدم كتاب [الزمن بين الدنيا والآخرة] لكي يقرأوا عن أهم الكائنات المخلوقة الذي لا يُري وهو الزمن مثل عالم الملائكة وعالم الجن. لقد خلق الزمن منذ خلق السماوات والأرض لأن الحركة هي الزمن.

والسبب في وجود هذا الزمن هو خلق الإنسان لعبادة الله الخالق العظيم بديع السماوات والأرض. وإعطاء الإنسان فرصة زمنية لهدايته وعبادة الله في فترة زمنية محدودة وهي عمره، وقبل خلق الإنسان قسم الله الزمن من ليل ونهار بواسطة الشمس والقمر وحركتى الأرض اليومية الأولى حول نفسها لخروج الليل والنهار والحركة اليومية الثانية للأرض دورانها حول الشمس لإيجاد الفصول الأربعة وإحداث الشهور والسنوات.

فينبغي على كل قارىء أن يعيد النظر فى سلوكيات يومه تجاه الله الخالق العظيم؟ هل أعطى الله حقه من العبادة اليومية وهى الصلوات الخمس، والعبادة الأسبوعية وهى صلاة الجمعة والعبادة الشهرية وهى صيام شهر رمضان وإقامة المناسبات الدينية مثل الأعياد ثم العبادة السنوية وهى الحج إلى بيت الله متى كانت لديه الاستطاعة المالية. كما يجب على كل قارئ أيضًا أن يعيد النظر فى سلوكياته اليومية.. هل اعتنى بعمله وبأسرته وبوطنه؟ وفي نفس الوقت لا تؤذى إنسانا ولا حيوانا ولا نباتا، والتزم بما جاء في قرآن الله وسنة رسوله.

فالزمن يعتبر فترة اختبار عمل للإنسان، حيث يقول فى كتابه العزيز ﴿ خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾.

فمعظمنا لا يشعر بعمره إلا عندما يكبر ويهرم وهذا خطأ. فعند نضوجه الجسمانى والعقلى والفكرى يجب أن يفكر بإمعان لماذا وُجدت فى هذه الحياة؟ ومن أجل من؟ الإجابة: وجودك فى هذه الحياة هو عبادة الله الخالق العظيم الذى سخر لك كل الكائنات من حيوان ونبات وجماد وشمس وقمر لخدمتك، هذا وقد لعبت الحواس الخمس وخاصة

الأذن دوراً هاماً فى وصول المعلومات التى وردت بالكتب السماوية على لسان الرسل لتعليمك وترشيدك أيها الإنسان وتنمية فكرك وتثقيفك بكل أنواع المعرفة فى الحياة لكى تعبد الله على علم وتفهم جيداً. هذا هو سر وجودك على وجه هذه الأرض وهو عبادة الله بديع السماوات والأرض وخالق كل شئ.

هذا وقد قسمت منهج الكتاب إلى ثلاثة أبواب مبتدئاً بالتعريف اللغوى باليوم باللغتين العربية و الإنجليزية ثم وضعه فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأقوال الحكماء، وفي الأمثال العامية وفى الرؤيا المنامية. ثم تناولت اليوم وصوره المختلفة فى الماضى والحاضر والمستقبل القريب والبعيد جداً جداً جداً.

وأعتقد أن المكتبة العربية فى حاجة ماسة لهذا النوع من التأليف والمعرفة.

كما أرجو من القراء الأعزاء أن يبعثوا بملاحظاتهم لاستدراكها في الطبعة الثانية، إن شاء الله على دار الناشر، وأرجو الله دائماً أن يجعل هذه الدراسة العلمية المنهجية البسيطة مفيدة ونافعة لنا فى الحياة الدنيا ثم فى حياة القبر ثم فى الحياة الآخرة.

وبهذا الجهد المتواضع قدمت الملامح الرئيسية لهذا الكتاب، وهو أننى أذكر القارئ دائماً بأن لا تفرط فى يومك بدون العمل من أجل رزقك وإعاشتك وعبادة الله خالقك وخالق كل شئ والتطلع إلى يوم الحساب بصفة مستمرة. فقد خلقت يا أخى الإنسان ويا أختى الإنسانة لعبادة الله الواحد القهار.

وكما ورد فى القرآن الكريم ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾.

وختاماً أرجو الله عز وجل أن يتقبل هذا العمل وأن يمنحنى الثواب والعافية فى الدنيا والآخرة.

عبدالغنى عبدالرحمن محمد

١٩٩٦/٨/٨

تعليق: فضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوى(١)

إن من تمام الخلق أن يخلق الله سبحانه وتعالى يوماً مقداره ألف سنة.. فإن جل جلاله يخلقه ويوجده بكلمة «كن» حتى يناسب ذلك اليوم الهام التى خلق من أجلها.. والأحداث التى خلق من أجلها.. والأحداث التى ستقع فيه. فإذا كنا محتاجين إلى فترة زمنية تستغرق أحداثا تحتاج ليوم مقداره خمسون ألف سنة خلق الله لها يوماً مقداره خمسون ألف سنة وإن كنا محتاجين إلى مليون سنة من الأحداث.. خلق لها الله اليوم الذى يسعها بحيث يستمر اليوم مليون سنة.

أين يوم القيامة من هذه الأزمنة؟ نقول إن هذا غيب عنا لا نستطيع أن نحدد زمنه ولكننا مما علمنا الله فى القرآن الكريم نعرف أن زمن يوم القيامة يتسع لكل أحداث هذا اليوم بحيث لا يؤجل حدث إلى يوم آخر ولا يتم حدث باستعجال لأن الوقت قد انتهى. بل الله خلق هذا اليوم بقدر ما سيتم فيه من أحداث. بحيث يحشر الناس جميعًا كل بحسابه ويتم فيه ذلك الحوار الذى أنبأنا الله عن بعض أحداثه فى القرآن الكريم وأخفى بعض أحداثه فى عالم الغيب فلا يعلمها أحد.

ولكن لماذا أسماه الحق تبارك وتعالى يوماً؟ لنعلم أنه ليس له غد وأن الحساب لن يتم جزء منه فى يوم ويؤجل الباقى إلى الغد بل سيظل الحساب مستمراً ومشاهد يوم القيامة تتم دون أن تكون هناك فترة للراحة أو دون أن يكون هناك تأجيل حتى يُقْضَى بين الناس. كل الناس منذ عهد آدم إلى الذين سيشهدون قيام الساعة فكل هؤلاء سيقفون بين يدى الله. ولن يفلت واحد منهم من الحساب.

هنا يتساءل سائل: هؤلاء الخلق منذ عهد آدم بلايين من البشر .. كم يستغرق حسابهم؟ بعض الناس يعتقد أنهم محتاجون لملايين السنين كى يتم حسابهم ويقرأ كل منهم كتابه. ولكن هذا السؤال يضع قيوداً على فهم السائل لقدرة الله سبحانه وتعالى فالسائل هنا أخذ الحساب بمفهوم القدرة البشرية المحدودة.. ولكن قدرة الله جل جلاله بلا قيود ولا حدود.

وقد سئل على بن أبى طالب رضى الله عنه.. كيف سيحاسب الله الناس جميعًا فى وقت واحد؟ قال كما يرزقهم فى وقت واحد..

---

(١) أخبار اليوم: يوم القيامة: ص ص ٦-١٠، ١٨-٢٤ مكتبة الشعراوى الإسلامية.

والناس تتساءل.. كيف سيأتى الله سبحانه وتعالى بكل منا يوم القيامة بصورته وجسده الدنيوى؟ نقول إن الله قد قرب إلى أذهاننا أن هذا سيحدث. فكل إنسان له بصمة لا تتكرر.. هذا ما نعرفه يقيناً وكل جسد له رائحة لا تتكرر والدليل على ذلك أننا إذا أتينا بمنديل عرق إنسان، وجعلنا أحد كلاب الشرطة بشمه فإنه يتعرف على صاحب المنديل من بين عشرات أو مئات الأشخاص الموجودين وذلك من رائحة عرقه التى لا تتكرر. ولكل جسد شفرة خاصة لا تتكرر مع غيره فإذا نقلنا عضوا من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر فإن الجسد المنقول له العضو يلفظه لأنه عرف بالشفرة الخاصة بالجسد أن هذا العضو غريب عنه. وبالإضافة إلى ذلك فإن لكل صوت بصمة ولكل إنسان بصمة وكلما تقدم العلم كشف الله لنا من أسرار الجسد البشرى ما يجعلنا نعلم جميعاً أن كل إنسان مميز عن الآخر.

ألا يكفى هذا دليلاً على أن قدرة الله التى ميزت تكويننا عن بعضنا البعض.. قد فعلت ذلك لنبعث يوم القيامة كل منا بذاته التى كانت موجودة فى الدنيا ليحاسب على ما قدمت يداه.

بهذا نكون قد وصلنا إلى أن الزمن خلق من خلق الله . وأنه سبحانه وتعالى يستطيع أن يخرجنا من قوانين الزمن ونحن أحياء كما حدث لأهل الكهف.. أو نحن أموات كما حدث للرجل الصالح الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه، وأن اليوم عند الله لا يوجد له وقت محدد، فالله يخلق ما يشاء وهو قادر على أن يخلق يوماً مدته اثنتا عشرة ساعة وأن يخلق يوماً مقداره خمسون ألف سنة وأن يخلق يوماً مقداره مليون سنة.

واليوم عند بعض الناس هو من شروق الشمس إلى غروبها وعند البعض الآخر هو من شروق الشمس إلى شروقها فى اليوم التالى وهذا التعريف غير هام لأنه تعريف نسبى أو ظرف زمانى.. شيئ نقيس به الزمن فى الدنيا فما الذى جعله يأتى في القيامة.

الحق سبحانه وتعالى- وهو لا زمن عنده- حدد القيامة بأنها يوم فكم عدد ساعات ذلك اليوم؟ وكم الزمن الذى يستغرقه؟ وهل هو ينتهى بغروب الشمس أم ماذا؟ نقول إن الزمن مخلوق من مخلوقات الله .. مخلوق تعودنا الحياة معه فى الدنيا.. وكل شىء فى الحياة الدنيا يقاس بالزمن. فنحن لنا يوم ميلاد نولد فيه.. ويوم وفاة نموت فيه.. وأيام نعيشها

فى الدنيا.. وكل شىء فى حياتنا له وقت محدد فنحن سنفعل كذا اليوم وسنفعل كذا غداً وسنفعل كذا فى العام القادم.

إن الزمن هو مقياس حياتنا.. هو مقياس الأحداث التى نمر بها.. والزمن من حجب الغيب.. فهو يحجب عنا الماضى فلاندرى ما حدث فيه.. إلا أن نقرأه فى كتب التاريخ أو يرويه لنا الرواة...

والزمن هو حجاب المستقبل.. فنحن لاندرى ماذا سيحدث غداً.. أو بعد غد أو فى الأعوام القادمة.. وكل ما ندريه.. هو حاضر نعيشه ، وماضٍ عشناه فنعرفه ومستقبل لا ندرى ما هو قضاء الله فيه.

والزمن يملكنا ولا نملكه.. فلا يستطيع الإنسان منا أن يعيش خارج الزمن.. لا يستطيع أن يبقى طفلاً فلا يكبر.. ولا أن يبقى شاباً فلا يصل إلى مرحلة الشيخوخة.. ولا يستطيع إنسان أن يعيد الماضى ليصحح أخطاءه.. فلا يمكنه لو ارتكب جريمة قتل أن يعيد الزمن حتى يتجنبها. ذلك هو الزمن فى حياتنا ولكن الله تعالى- وهو خالق الزمن- لا زمن عنده. فلا ماضى اختفى من علمه..ولا مستقبل خرج عن قضائه.. ولا أحداث تجد.. بل كل ما فى الكون بما فيه وحتى يوم القيامة وما بعد يوم القيامة فى علم الله يبديها لنا ولكن لا يبتديها لأنها فى علمه جل جلاله.

وهناك مراحل يسقط فيها الزمن عن الإنسان.. وذلك حتى نعرف المعنى الحقيقى للزمن.. وهو أنه مقياس للأحداث إذا توقفت توقف إحساسنا بالزمن وفقد معناه. فعندما ينام الإنسان ويسكن سكونا مؤقتًا.. فإن معنى الزمن عنده يتوقف.. فإذا استيقظ لا يعرف كم ساعة قضاها وهو نائم إلاأن يكون قد نام والشمس مشرقة واستيقظ والدنيا ظلام أو نام والدنيا ظلام.. واستيقظ ليرى نور الشمس يملأ الكون. تلك تجربة نعيشها جميعاً وهى فقدان الإحساس بالزمن أثناء النوم. ولكن الحق سبحانه وتعالى رحمة بعباده- أفهمنا أنه يمكن أن يجعل الإنسان خارج نطاق الزمن تمامًا. أى لا تأثير للزمن عليه.. ولا يكون الزمن مقياساً لحياته مثل قصة أهل الكهف والرجل الصالح.



الباب الأول

الفصل الأول: التعريف اللغوى باليوم وعائلته.

الفصل الثانى: اليوم وفلسفة الزمن.

الفصل الثالث: اليوم واكتشاف الزمن.

الفصل الرابع: كيف يتكون اليوم؟

الفصل الخامس: معرفة الوقت عند قدماء المصريين والعرب.

الفصل السادس: كيف تكون التقويم الميلادى؟

الفصل السابع: اليوم وعائلته بين المفرد والجمع.

الفصل الثامن: اليوم والأعياد الرسمية.



الفصل الأول

التعريف اللغوى باليوم وعائلته

ى و م: اليوم معروف ج أيام ويؤمْ أيْوَمُ: شديدٌ.، وأيامُ الله تعالى: نِعَمُهُ، ويَاوَمَهُ مُياوَمَةً، وَيواماً: عامَلَهَ بالأيَّام[١].

ز م ن: الزَّمن، والزَّمانُ: العصرُ. اسمان لقليل الوقت وكَثيره، ج أَزْمانُ وأزْمِنَةً وأزْمُنُ[٢]

الزمن له مسمي آخر ورد فى القرآن الكريم﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[سورة الحديد].

القرن: مائة سنة، والجمع قرون، والقرن: أهل زَمانٍ واحِدٍ[٣]

د هـ ر: الدَّهْرُ: قد يُعَدُّ فى الأسماء الحسنى.والزمان الطويل.

والأمَدُ الممدود. وألف سَنَةٍ. والجمع أدهر، ودهور. والدهارير: أول الدهر فى الزمن الماضى بلا واحد.[٤]

ح ى ن[٥]: الحينُ- بالكسر- الدهر، أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمَان طال أو قصر، يكون سَنةً وأكثر، والحين: يوم القيامة. والمدة. وقوله تعالي [فتولى عنهم حتي حين] وآية أخرى تقول ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الأعراف] ومعنى حين: أى حتى تنقضى المدة التى أمهلوها. ج أحيان. وجمع الجمع أحايين ولات حين: أى ليس حين. وإذا باعدوا بين الوقتين باعدوا بإذْ، فقالوا حينئذ.

(١، ٢، ٣، ٤):- الطاهر أحمد الزّاوى: مختار القاموس: (١) ص ٦٧٧، (٢) ص ٢٧٩ ، (٣) ص ٤٩٨ ، (٤) ص ٢٢٠ .

(٥) الطاهر أحمد الزاوى: مختار القاموس. ص١٦٤ .

الاستخدامات اللفظية لليوم وعائلته باللغة الإنجليزية[1]:

يوم: ٢٤ ساعة (أو بمعنى نهار)	Day
يوم: وقت	Time
يوم: أبيض	Auspicious or propitious, day
يوم: أسود	Dark, black, or unlucky day
يوم: الجلسة (يوم انعقاد المحكمة)	Court day
يوم: عطلة	Holiday
يوم: مشهود	A memorable day
في يوم من الأيام: يوما ما	One day, once, one of these days
من يوم ليوم	From day to day
اليوم	To- day
يوماً فيوم	Day by day
ابن الأيام	A man of the world
ابن يومَه: سريع الزوال	Ephemeral, short- lived
يومي: كل يوم	Daily: diurnal
يومي: لكل يوم	Every day
جريدة يومية	A daily newspaper
دورة الأرض اليومية	The diurnal revolution of the earth
يومية: أجرة اليوم	Daily wages, a day's wages
يومية: دفتر لقيد أعمال اليوم	Dairy
يومية التاجر: دفتره الأولى	Daybook; journal
يومئذ	On that day: at that time.
ياوَمَ: عَامَلَه بأجرة اليوم	To hire or engage
مُياومه: باليوم	By the day
زمن- زمان: وقت[2]	Time, period

(١) إلياس وادوارد الياس: القاموس العصري- عربي - انكليزى ـ ص ٨٢٤

(٢) إلياس واد وارد إلياس: القاموس العصرى- عربى-انكليزى-ص ص ٣٥٨، ٢٧٩

age, epoch, era	زمن– زمان: عصر– دهر
Temporal, worldly, earthly	زمنى– دنيوى– عاملى
Temporal goods	الخيرات الزمنية
Temporal power	السلطة الزمنية
Decade	عقد (١٠ سنوات)
Duration	استغراق الفترات الزمنية
Lifetime. age	دهر الإنسان: مدة حياته
A second	ثانية
A minute	دقيقة
An hour	ساعة
A week	أسبوع
Weekly	أسبوعى : اسبوعيا
A fortnight	أسبوعان (١٤ يوما)
Fort nightly	اسبوعان– نصف شهرى
A month	شهر من السنة
Honey- moon	شهر العسل
Current month	الشهر الجارى
Next month	الشهر القادم
Last month	الشهر الماضى
Monthly; every month	شهرى/ كل شهر
Monthly; by the month	شهريا: مشاهرة
Year, twelvemonth.	سنة: عام.حول [١]
Solar year.	سنة شمسية
Lunar year	سنة قمرية
Leap year; bissextile year	سنة كبيس(٣٦٦ يوما)

(١) الياس وادوارد الياس: القاموس العصرى– عربى – انكليزى ص ص ٣٢٠، ٥٣٧

Financial, or Fiscal. year.	سنة مالية
Year of Grace; year of our Lord, (A.D.)	سنة ميلادية
Mohammedan year.	سنة هجرية
New year's day.	يوم رأس السنة
Yearly, annual.	سنوي: عاميّ. حولى
Per annum , in each successive year ; by the year	سنوياً: فى السنة. عن السنة
Yearly, annually.	سنوياً: كل سنة
A century	قرن: مائة سنة

الفصل الثانى

اليوم وفلسفة الزمن[(١)]

الزمن من أغرب المخلوقات الجبارة التي خلقها الله تعالى، وليس الإنسان سوى مسافر فى الزمان... والزمن مخلوق عجيب.. إنه من فرط شفافيته ورقته لا يكاد يُرى.

إن أحدًا لا يرى الزمان. صحيح أن الساعات فى أيدينا تعنى اعترافنا بهذا المخلوق الخفى الغامض. ورغم اعترافنا بوجود الزمن فنحن لا نراه هل يتحرك الزمان أو يدور حول نفسه.. أو الذى يتحرك هو الإنسان.

ولنفترض الآن أن هناك نقطة ما فى الزمان هى النقطة (س) .. إذا افترضنا أن الإنسان يسير نحو هذه النقطة. إن (س) سوف تعتبر بالنسبة لإنسان يسير نحوها الآن هى المستقبل.. إن الإنسان لا يعرف ماذا سيقع له فى هذه النقطة.

- إذا وصل الإنسان إلى (س) صارت حاضرًا.
- إذا مضى الإنسان وترك النقطة (س) صارت ماضيًا.
- أى أن الحاضر والماضى والمستقبل تقع جميعًا فى نقطة واحدة. أليس هذا مدهشًا!

فلو تأملنا الكرة الأرضية ذاتها .. فسوف نكتشف أنها تضم الماضى والحاضر والمستقبل معًا.. بل أنها تقع فى نفس الوقت.

إن اختلافات التوقيت هى خير دليل على ذلك. إن هناك فروقًا فى التوقيت بين نصفى الكرة الأرضية. ففى نفس الوقت الذى تشرق فيه الشمس على نصف الكرة الذى يواجهها وفى نفس الوقت الذى يكون فيه النهار مستقبلاً لم يشرق بعد. وفى نفس هذا الوقت يكون نهار النصف الثانى قد صار ماضيًا ودخل الليل وأصبح الليل هو المستقبل. أى أن النهار والليل يولدان معًا فى نفس الوقت، وفى مكانين مختلفين هما فى الحقيقة وجه مكان واحد هو الكرة الأرضية.. كيف يقع هذا كله؟

إن الأرض تدور حول نفسها أمام الشمس.. إن هذا الدوران يعنى وجود الليل والنهار

(١) أحمد بهجت: الكاتب الصحفى الكبير مقالة . بالأهرام فى ١١/١٣ / ١٩٨٦ .

والزمان والوقت.. هذا يعنى أن الزمن دائرة. شيء رياضى كالدائرة.. شئ لا تعرف من أين بدأ ولا أين ينتهى.. إن أى نقطة فى الدائرة تصلح بداية وتصلح فى نفس الوقت نهاية- ما هو الزمان فى حقيقته؟ إن أحداً لا يعرف حقيقة الزمان لأن أحداً لا يراه.. إنما نحن نخترق مجاله فقط أو نعبر مجاله فقط.

نحن نسير داخل الزمان إن صح هذا التعبير.. أو نمر به كما يمر المسافر فى القطار بأعمدة التلغراف فيتصور أنها تجرى بينما الحقيقة أنها ثابتة والقطار هو الذى يجرى.

أما تصور الصوفية للزمان.. إنهم يرون أن الزمان هو التجدد المتوالى لشئون البارىء عز وجل.. كما ينعكس على صفحة الكون. وليس الزمان سوى فترة اختبار للإنسان.

الفصل الثالث

اليوم واكتشاف الزمن(١):

الزمن شئ ليس له معنى إلا في وجود أحداث تميزه، تماماً كالألوان التى لا نستطيع أن ندركها ونميزها إلا في وجود العين المبصرة، وإن مجرد تصور ماض وحاضر ومستقبل هو الذى يوحى إلينا بمرور الزمن وكأنه سلسلة من الأحداث المتتابعة. ولولا الذاكرة التى حباها الله للإنسان لكي تعيش فيها الأحداث التى نواجهها لما أحسسنا بمرور الزمن.

ولقد شجعت الظواهر الكونية المتكررة بصورة منتظمة على اكتشاف معنى «الزمن» واستخدامه، فاليوم الأرضى هو الفترة الزمنية التى تكمل فيها الأرض دورة كاملة حول نفسها، وهو ينقسم إلى ٢٤ ساعة، والسنة الأرضية هى الفترة الزمنية التى تكمل فيها الأرض دورة كاملة حول الشمس وهى تساوى ٣٦٥ يوماً. أما الشهر العربى فهو الفترة التى يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض . وقد اتخذت شعوب كثيرة من وحدات اليوم والشهر والسنة أساساً لوضع تقاويم خاصة تختلف فى خصائصها الدقيقة عن بعضها البعض. لكنها تقسم بصورة عامة إلى نوعين رئيسيين: أحدهما قمرى أساسه دوران القمر حول الأرض، والآخر شمسى أساسه دوران الأرض حول الشمس. ويعتبر التقويمان الهجرى والميلادى خير مثالين لهذين النوعين من التقاويم.ويوضح القرآن الكريم حقيقة أن ٣٠٠ سنة شمسية تعادل ٣٠٩ سنوات قمرية بالنسبة لسكان الأرض، وذلك فى قوله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)﴾ [سورة الكهف] كما جعل الله الشمس والقمر وغيرهما من الأجرام السماوية يتحرك بحساب دقيق يفيد الناس منه في معرفة الوقت وقياس الزمن. فقال تعالي: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢)﴾ [سورة الإسراء] وجعل أهلة القمر واختلاف أوجهه نتيجة دورانه حول الأرض على مدار الشهر العربي بيانًا لمواقيت الناس في العبادة والأمور الدنيوية. فقال سبحانه: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ (١٨٩)﴾ [سورة البقرة].

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا. وكيل كلية العلوم. جامعة القاهرة: الأهرام في ١٩٩٧/٢/٥

ولقد اكتشف العلماء أن الزمن نسبى لأنه يتوقف على المكان الذى يقاس فيه فلكل كوكب يومه وعامه الخاصين به طبقًا لسرعة دورانه حول نفسه وحول الشمس، وبهذا يكون الزمن مرتبطًا بالحركة والمكان، ولا وجود لأحدهما بدون الآخر، فاليوم على كوكب الزهرة مثلاً يعادل ٢٤٢ يومًا على الأرض، والسنة على الزهرة تعادل ٢٢٥ يومًا على الأرض، أى أن الفصول الأربعة على الزهرة تتعاقب جميعها خلال يوم واحد، لأن يومه يعادل سنة الأرض تقريبًا.

أما اليوم على كوكب المشترى فيعادل عشر ساعات على الأرض، والسنة على المشترى تعادل ١٢ سنة أرضية.

وقد أوضح العلم الحديث أيضًا أن المسافات الشاسعة بيننا وبين النجوم تقاس بوحدات «السنة الضوئية»، وهى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة.

وهذا يعنى أن ما يصلنا من ضوء هذه النجوم فى الحاضر والمستقبل بمثابة رسول يحكى لنا على الأرض ما حدث لها هناك فى الماضى البعيد، وهى حالة تقرب لنا معنى نسبية الزمان والمكان عندما يختلط مفهوم الماضى والحاضر والمستقبل.

فتبارك الله المنزه عن أن يحيط به أبدا الزمان والمكان لأنه سبحانه تعالى فوق الزمان والمكان. وخسئ الموسومون بالدهرية، نسبة إلى الدهر أو الزمان المطلق الذى يهلك ولا يهلك، وهم الذين عناهم القرآن الكريم بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الجاثية]

الفصل الرابع

كيف يتكون اليوم؟

دورتا الأرض[1]:

تدور الأرض- كسائر الكواكب- حول نفسها وفي الوقت ذاته تدور حول الشمس، وهي تكمل كلا من الدورتين في زمن يختلف عن الزمن الذى يكمل فيه أى كوكب هاتين الدورتين.. ولكل من هاتين الحركتين نتائج هامة. وفيمايلي توضيح لذلك:

(أ) دوران الأرض حول نفسها (الحركة اليومية):

أنت ترى الشمس فى كل يوم تتحرك فى السماء من الشرق إلى الغرب: فتطلع من الأفق الشرقى فى الصباح، وتتوسط السماء وقت الظهيرة، ثم تنحدر نحو الأفق الغربى حتى تختفى فى السماء، وفى الواقع أن ما تراه من تحرك الشمس كل يوم من الشرق إلى الغرب هو حركة ظاهرية تنشأ عن دوران الأرض حول نفسها فى اتجاه مضاد أى من الغرب إلى الشرق، وما مثلنا على الأرض إلا كمثل مسافر فى قطار سريع تبدو له الأشجار والمساكن وأعمدة التلغراف تتحرك فى اتجاه مضاد لاتجاه حركة القطار مع أنها فى الواقع مستقرة فى أماكنها، بينما الحركة السريعة هى القطار ذاته.

وهنا قد تسأل: إذا كانت الأرض تتحرك فلماذا لا نشعر بها؟

إننا لا نشعر بحركة الأرض لأسباب أهمها:

١-انتظام سرعة دوران الأرض فى كل جزء من أجزائها.

٢- ولأن الأرض تجذب جميع الأجسام الموجودة على سطحها، فهى حين تدور يدور كل جزء منها، سواء فى ذلك الجزء الباطن أو الظاهر، وسواء فى ذلك اليابس أو الماء أو الهواء.

---

(١) د. فتحي العيوطى وآخرون: قواعد الجغرافية العامة ١٩٨١ ص ص/ ١٤١ - ١٤٦

محور الأرض:

افترض العلماء قطراً يخترق الكرة الأرضية من مركزها ويخرج من طرفيها. وسموه محور الأرض، وسموا طرفه من ناحية بالقطب الشمالي ومن الناحية الأخرى بالقطب الجنوبي، والمحور ليس عمودياً ولكنه يميل عن الوضع العمودى بمقدار ٥و٢٣١° تقريباً، وميل المحور ثابت فى إتجاه واحد لا يتغير.

نتائج دوران الأرض حول محورها:

١ – تدور الكرة الأرضية حول محورها أمام الشمس فى اتجاه منتظم واحد لا يتغير من الغرب إلى الشرق دورة واحدة كل يوم، وينشأ عن هذه الحركة اليومية حدوث ظاهرة الليل والنهار وتعاقبهما، والليل والنهار معاً يكونان ما يسمى «باليوم الشمسى» ومدته ٢٤ ساعة أو يوم واحد. ولو كانت الأرض ساكنة لظل جزء منها مواجهاً الشمس دائماً فهو فى نهار دائم وهذا غير الواقع.

٢ – ونتج أيضاً عن دوران الكرة الأرضية حول نفسها، شكلها المفرطح عند القطبين، والمنبعج عند خط الاستواء. وتفسير ذلك أن سرعة الأرض عند خط الاستواء، أكثر بكثير جداً مما هى عند القطبين مما يؤدى إلى تباعد الأجزاء الاستوائية عن المركز أكثر من الأجزاء القطبية نتيجة للقوة الطاردة المركزية المتولدة عن دوران الأرض حول نفسها.

(ب) دوران الأرض حول الشمس:

فى الوقت الذى تدور فيه الأرض حول محورها أمام الشمس تتحرك الأرض حول الشمس فى مسار يسمى «فلك الأرض» أو «مدار الأرض»، وهومسار بيضى الشكل، وكل شكل بيضى له مركزان تقع الشمس فى مركز واحد منهما، ولذلك تكون الأرض أقرب إلى الشمس مرة وبعيدة عنها مرة أخرى فى كل سنة، ويمكن ملاحظة قرص الشمس الذى يظهر كبيراً فى الشتاء وصغيراً فى الصيف تبعاً لذلك.

تدور الأرض في مسارها حول الشمس بسرعة عظيمة حوالى ١٠٠٠ ميل فى الدقيقة لتقطع رحلتها، وتتم دورة كاملة فى زمن قدره ٣٦٥ يومًا، ٥ ساعات، ٤٨ دقيقة، ٤٦ ثانية أو سنة واحدة، وتسمى هذه (الدورة السنوية).

نتائج دوران الأرض حول الشمس:

لما كان محور الأرض مائلاً على مستوى فلكها بزاوية قدرها ٥و٢٣١° تقريبًا- كما عرفت- فإنه مع دوران الأرض حول الشمس لا تسقط أشعة الشمس فى أى جهة من جهات الكرة الأرضية بزاوية واحدة طوال أيام السنة، وإنما تختلف زاوية سقوطها من يوم إلى يوم ، ومن شهر إلى شهر، وينشأ عن ذلك تغيير كبير فى مقدار الحرارة التى تكتسبها الأرض من الشمس تبعًا لذلك، واصطلح العلماء على أن الفصل الذى يزداد فيه اكتساب الأرض لحرارة الشمس إلى أقصى درجة يعرف بالصيف، والفصل الذى يهبط فيه اكتساب الأرض لحرارة الشمس إلى أدنى حد يعرف بالشتاء. وفصل الانتقال من الشتاء إلى الصيف يعرف بالربيع، وفصل الانتقال من الصيف إلى الشتاء يعرف بالخريف.

هكذا تحدث الفصول الأربعة وتتعاقب بنظامها المعروف نتيجة لحركة الأرض السنوية حول الشمس مع ثبات ميل المحور كما سبقت الإشارة.

الفصول الأربعة:

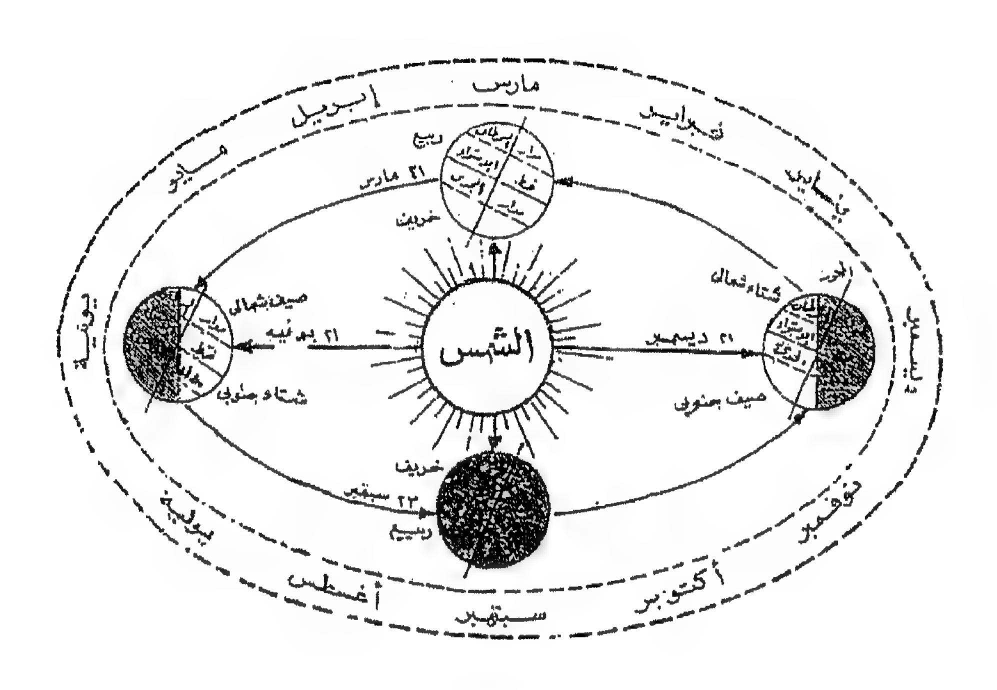
ادرس الشكل لتتبين الأوضاع المختلفة للكرة الأرضية فى حركتها حول الشمس فى أوقات معينة من السنة ولاحظ ما يأتى:

أولا: فى ٢١ يونيو يكون نصف الكرة الشمالى متجهًا نحو الشمس، والنصف الجنوبى منحرفًا عنها فتسقط أشعة الشمس على مدار السرطان (دائرةعرض ٥و٢٣١° شمال خط الاستواء)، فتشتد الحرارة فى نصف الكرة الشمالى بوجه عام، ويكون فصل الصيف، ويطول النهار ويقصر الليل إلى أقصى حد، وتهبط الحرارة فى نصف الكرة الجنوبى بوجه عام فيكون فصل الشتاء- ويقصر النهار ويطول الليل إلى أقصى حد.

ويسمى ٢١ يونيو بيوم الانقلاب الصيفى فى نصف الكرة الشمالى ويوم الانقلاب الشتوى فى نصف الكرة الجنوبى، لأن أشعة الشمس تكون قد وصلت فى هذا اليوم إلى

أقصى درجة لها في تعامدها في نصف الكرة الشمالي والى أقصى درجة في ميلها في نصف الكرة الجنوبي- ثم تنقلب عائدها في حركتها الظاهرية نحو خط الاستواء.

ثانيا: وفي ٢٣ سبتمبر تسقط أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء وتتعادل الحرارة في نصفي الكرة، ويكون فصل الخريف في نصف الكرة الشمالي وفصل الربيع في نصف الكرة الجنوبي ويتساوى طول الليل والنهار، ويسمى بيوم الاعتدال الخريفي في نصف الكرة الشمالي، والاعتدال الربيعي في نصف الكرة الجنوبي.



الفصول الأربعة

شكل دوران الأرض حول الشمس (الفصول)

ثالثا: وفى ٢١ ديسمبر يكون نصف الكرة الجنوبى متجهًا نحو الشمس، والنصف الشمالى منحرفًا عنها فتسقط الشمس عمودية على مدار الجدى (دائرة ٢٣,٥° جنوب خط الاستواء) فتشتد الحرارة فى نصف الكرة الجنوبى بوجه عام، ويكون فصل الصيف، ويطول النهار ويقصر الليل، وتهبط الحرارة فى نصف الكرة الشمالى بوجه عام فيكون فصل الشتاء، ويقصر النهار ويطول الليل.

ويسمى ٢١ ديسمبر بيوم الانقلاب الشتوى فى نصف الكرة الشمالى، ويوم الانقلاب الصيفى فى النصف الجنوبى لأن أشعة الشمس قد وصلت فى هذا اليوم إلى أقصى درجات تعامدها فى نصف الكرة الجنوبى. وإلى أقصى درجة لها فى ميلها فى نصف الكرة الشمالى، ثم تنقلب عائدة فى حركتها الظاهرة نحو خط الاستواء.

رابعا: وفى ٢١ مارس تسقط أشعة الشمس عمودية على خط الاستواء وتكون درجة ميل الأشعة على نصف الكرة الشمالى مثلها على النصف الجنوبى، فتتعادل الحرارة فى نصف الكرة، ويتساوى طول الليل والنهار، ويكون الربيع فى نصف الكرة الشمالى، والخريف فى نصفها الجنوبى، ويسمى اليوم بيوم الاعتدال الربيعى فى الأول والاعتدال الخريفى فى الثانى.

وهكذا تتعاقب الفصول الأربعة نتيجة لحركة الأرض السنوية حول الشمس مع ميل المحور وثبات هذا الميل فى اتجاه واحد.

وقد اصطلح الجغرافيون على أن يطلقوا اسم الصيف من ٢١ يونيو إلى ٢٣ سبتمبر والخريف من هذا التاريخ إلى الانقلاب الشتوى فى ٢١ ديسمبر، والشتاء من هذا التاريخ إلى الاعتدال الربيعى فى ٢١ مارس والربيع على المدة التى بين الاعتدال الربيعى إلى الانقلاب الصيفى فى ٢١ يونيو.

هذا، وينبغى أن نشير إلى أن نظام الفصول وتنوعها هذا يظهر بوضوح فى الجهات المعتدلة حيث يعظم الفرق الحرارى بين فصل وآخر، أما فى المناطق المدارية بصفة عامة

والاستوائية بصفة خاصة حيث تصل أشعة الشمس عمودية أو شبه عمودية على مدار السنة، فإن الحرارة تظل على وتيرة واحدة وتكون السنة فصلاً حرارياً واحداً فلا تمييز بين الفصول كذلك، فإنه فى الجهات القطبية حيث تصل أشعة الشمس شديدة الميل على مدار السنة، فإن الفصول ليس لها مغزى مناخى، فالسنة فصلان: شتاء طويل قارس البرد يستغرق معظم أشهر السنة، وصيف قصير قد لا يتجاوز شهرين ترتفع فيه درجة الحرارة قليلاً على درجة الصفر بحيث يسمح هذا الارتفاع فى الحرارة بذوبان بعض الثلوج..

وتبعاً لذلك تتكيف حياة الإنسان وتختلف في العروض المختلفة.



الفصل الخامس

معرفة الوقت عند قدماء المصريين والعرب

معرفة الوقت عند قدماء المصريين(1):

عرف قدماء المصريين التوقيت اليومى والشهرى والسنوى منذ عهد ما قبل الأسرات.

- وفى عهد الملك تحتمس الثالث عرفوا الساعة المائية، ثم قسموا السنة إلى ثلاثة فصول- كل فصل أربعة أشهر.

والفصول هى:

١- فصل الإنبات ٢- فصل الفيضان ٣- فصل الحصاد.

والتوقيت عندهم ذو صبغة زراعية، والسنة الزراعية تتكون من اثنى عشر شهراً بإضافة خمسة أيام إلى الشهر الأخير لتصبح السنة ٣٦٥ يوماً.

أما عن اليوم فمقسم اثنتى عشرة عشر ساعة نهاراً، واثنتى عشرة ساعة ليلاً، أما ساعات النهار فمقسمة أيضاً إلى ثلاثة أجزاء. الأربع الساعات الأولى لمشاهدة جمال الإله رع (الشمس) والأربع الساعات الثانية لخدمة الإله رع، والأربع الساعات الثالثة والأخيرة للتنديد بهزيمة أعداء رع. فالدين عند المصريين القدماء كل شئ، أما الزراعة فهى وسيلة الحياة.

معرفة الوقت عند العرب:

عرف العرب الوقت ولكن ليس بصورة محددة وواضحة كما وضعه الإسلام فى إقامة الصلوات الخمس، ثم ما روى عند الأئمة وشرحه من بعدهم من ورثتهم، وكل عصر قبل الآخر بداية لمن بعده ومن وراء نهاية له فصار أول آلات التوقيت بداية لمن بعدهم إلى الآن. ولا لوم على من اقتدى بإمام- ونتيجة الاقتداء السلامة لكى تنتفى عن المقتدى الملامة صحة دخول الوقت ليصبح المشروط وهو الصلاة إقامتها صحيحة مطابقة لما أمر بها الله ورسوله.

(١) د. محمد إسماعيل على: الوقت عند الفراعنة- القاهرة- ص ٩٠- اللواء سعيد صبور: التقويم (مترجم) القاهرة ص ٣٨.

وعند تقدير الدقيقة فى الإسلام يقال مقدار (قل هو الله أحد مع البسملة) ثلاثون مرة[١] وفى قول آخر لبعض علماء الإسلام المعاصرين لمطابقة الوقت الفلكى مع الوقت الصناعى (الدقائق والساعات) مقدار الدقيقة أن تقول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) اثنتى عشرة مرة.

أو درجتان من أدراج الفلك المقسوم على ثلاثمائة وستين درجة (٣٦٠) أو مغيب الأدراج الثلاثة– والدرجة عندهم مقدار ما تقرأ فيه سورة الإخلاص خمس عشرة مرة (أ.هـ).

وأن التوقيت بالآلات معمول به فى الإسلام ومنصوص عليه فى كتب الأئمة الأعلام.

وإذا كانت الشمس محجوبة بالغيم – فيرجع إلى أهل الصناعات. فإنهم يعلمون قدر ما مضى لهم من أعمالهم من أول نهارهم إلى زوال الشمس فى يوم صحو فيقسمون يومهم بأمسهم فيعرفون بذلك الوقت، وقد اخترعوا قبل ذلك الساعات الشمسية والرملية والأسطر لاب وغيرها، ويجرى مجراها التقديرات المعتادة والأشغال المجرية إذا لم يكن إلا ذلك.

الساعة الشمسية[٢]:

لو غرزت فى الأرض وتداً من الخشب تقع عليه أشعة الشمس المتحركة، لرأيت ظل الوتد يدور بانتظام على مدار النهار. ولو أشرت بخط إلى المكان الذى يبلغه الظل فى كل ساعة لرسمت ساعة شمسية تقرأ عليها الوقت فى كل يوم.

لم يخف انتظام حركة الشمس الظاهرية على الأقدمين، بل قد استعانوا به لتحديد الوقت ولو بصورة تفتقر إلى الدقة إلا أن هذه الوسيلة لم تكن ممكنة إلا فى النهار.. هذا إذا لم تختف الشمس وراء الغيوم[٣].

ولذا، فقد لجأ الأقدمون فى تحديد الوقت إلى وسائل أخرى سبقت ظهور الساعة والرقاص: من هذه الوسائل مثلاً مراقبة ارتفاع الماء فى إناء يفرغ فى هدوء وإنتظام أو مراقبة طول شمعة تحترق وتذوب أو انسياب الرمل من خلال ثقب دقيق فى وعاء.

(١) أبى عباس بن الشمس :النفحة الأحمدية فى بيان الأوقات المحمدية جـ ١ ص ٧٠ .
(٢) الموسوعة المختارة: رقم ١٨ ص٢. مكتبة سمير–بيروت.
(٣) المرجع السابق ص ص ٣، ٤ .

الساعة الرملية[1]:

هى جهاز صغير يقاس به الوقت، وتجسد قدراً معينا من الوقت، بطريقة حسية، إن خاصة الانسياب البطئ المدروس التى يتمتع بها الرمل الدقيق قد سمحت بصنع أجهزة للتوقيت دقيقة جداً.

ومن المعلوم أن ولادة ساعة الحائط تعود إلى الألف سنة خلت.[2]

هذا وقد أسهم الدين الإسلامى[2] بطريقة غير مباشرة فى تطور الجانب الفلكى من الجغرافيا - فقد نص الإسلام على خمس صلوات فى أوقات خاصة فى اليوم والاتجاه ساعة الصلاة نحو الكعبة، وصوم شهر رمضان المعين- وكان على الفلكيين العرب أن يستجيبوا لمطالب الدين الجديد فسجلوا المواقع الفلكية لكثير من البلدان بدقة وأعدوا الساعات الشمسية لتحديد أوقات الصلاة، وراقبوا القمر لتحديد الشهور وإعلان شهر رمضان وقد ساعدهم على ذلك قلة السحاب فى بلادهم.

---

(١) الموسوعة المختارة: رقم ١٨ ص ص ٣، ٤- مكتبة سمير- بيروت.
(٢) د. عبدالفتاح وهيبة: جغرافية العرب فى العصور الوسطى. محاضرات ١٩٦٠ .



الفصل السادس

كيف تكون التقويم الميلادى؟(١)

إن بداية التقويم الميلادى قضية معقدة ليست فى وضوح التقويم الهجرى وتداخلت مع تقاويم (جمع تقويم Calender) أخرى كثيرة وإن أمر تحديد تاريخ مولد المسيح يكاد يكون (منطقيًا) غير معروف تاريخيًا بل هو متداخل مع أمور فلكية وتاريخية كثيرة أعادتني– رغم أنفي وبرضا كامل – إلى أم الحضارات القديمة وهى مصر الفرعونية فتنظيم قياس الزمن والذى استقرت عليه البشرية (مؤقتًا) فى الوقت الحالى، قد مر بإبداعات ومحاولات مختلفة للربط بين ظواهر طبيعية التى لاحظها الإنسان منذ فجر التاريخ لكى يصل إلى اليوم والأسبوع والشهر فالسنة والقرن والألفية . لكان أولاً اليوم الذى يسجل الليل والنهار وأمره أسهل وواضح ثم الشهر وقد ربطه الإنسان – أول الأمر بالقمر وهو أيضًا أمره سهل وواضح خصوصًا فى البلدان الصحراوية حيث السماء صافية ورصد القمر والنجوم أيسر ولكن قياس الزمن المعبر عنه بـ «السنة» كان أكثر تعقيدًا واختلفت فيه الرؤى والنظريات وفق تقدم الحضارات لأن له علاقة بفصول السنة ومشاهدة البشر لتتالى التغيرات الطبيعية للشتاء والصيف ثم مراقبة ظواهر طبيعية هامة مثل دورة الفيضان لنهر النيل حيث ارتبطت الحضارات الزراعية القديمة بالأنهار المستقرة ولذلك اعتقد المصريون القدماء أن السنة تبدأ مع مقدم الفيضان وقسموا السنة إلى ١٢ شهرا وكل شهر ٣٠ يومًا غير أنهم – ومنذ نحو ٤٠٠٠ ق. م أدركوا مع تتالى السنين خطأهم فأضافوا شهرًا قصيرًا مدته خمسة أيام فأصبحت السنة ٣٦٥ يومًا. وقد جعلوا يوم بدء فيضان النيل بمثابة أول أيام العام الجديد وحسبما يذكر المرحوم العلامة د. مراد كامل فى كتابه المرجعى «حضارة مصر فى العصر القبطى».

وحين مضى على هذا التقويم عدة قرون لاحظ المصريون أن أول أيام العام الجديد أخذ يتأخر عن يوم بدء الفيضان فأتركوا أن «السنة الظاهرية» Vague Year تنقص عن السنة الشمسية بربع يوم تقريبًا ومن عجب أن الفراعنة قد أدركوا أن الخطأ قد صحح نفسه

(١) د. ميلاد حنا: الأهرام الصادر فى ٢١ يناير ١٩٩٧ .

بنفسه بعد مضى ١٤٦٠ سنة شمسية، ففي هذه المدة تجمع الفرق وهو ربع يوم فى كل سنة وهكذا عاد التوافق بين السنة الظاهرية «المدنية» والسنة الشمسية.

وهكذا ربط المصريون القدماءالأزمنة بالفلك أى دوران الأرض حول نفسها ثم دورانها حول الشمس ثم دوران المجموعة الشمسية فى الفلك اللامتناهي.

ومع إنتقال الحضارة من مصر إلى اليونان استمرت دراسات الفلك ومحاولة الربط بين الأشهر والسنوات القمرية وتلك الشمسية إلى أن وصل الفلكى ميتون عام ٤٣٣ ق.م إلى اكتشاف علاقة ربطت بين حركة الأرض والشمس والقمر وهى أن «١٩ سنة شمسية» تحتوى على ٢٣٥ شهراً قمرياً وعندما انتقلت الحضارة إلى روما أبدعوا هم أيضاً طريقتهم في تنظيم الزمن وكان أن أطلقوا اسم الإله مارس ليكون أول الأشهر ومن ثم أصبح شهر سبتمبر يعنى رقم ٧ وأكتوبر يعانى ٨ ونوفمبر يعنى ٩ وديسمبر يعنى ١٠ وهى المرادفة نطقاً وكتابة لهذه الأرقام باللاتينية التى لها قربها باللغة الإيطالية أو الفرنسية كما هو معروف.

وربما كان أهم إنجاز فى توثيق المواقيت ما تم فى عهد يوليانوس قيصر روما ، وقد استعان بالفلكى اليونانى ويبدو أن له جذوراً ثقافية مصرية فقد وصفه د. مراد كامل بأنه مصرى - وهو العلامة سوسيجينيس Sosigenes ووضع تقويماً جديداً عرف باسم «يوليانوس » وكان ذلك عام ٧٠٨ من تأسيس روما وصارت (تلك السنة) تعرف فيما بعد بعام ٤٦ ق.م. وقد أدخل أشهر يناير وفبراير وقدمها على الأشهر العشرة التى كانت تبدأ بشهر مارس كما سبق القول واستمر هذا التقويم سائداً فى دول أوروبا حتى عام ١٥٨٢ عندما لاحظ الفلكيون أن السنة الشمسية ليست ٣٦٥,٢٥ يوم كما كان معتقداً من قبل ولكنها ٣٦٥,٢٤٢٢ يوم لأنهم لاحظوا مع تتالى السنين أن عيد القيامة والذى كان من المفروض أن يكون فى الربيع قد صار فى الصيف.

واتخذ البابا جريجورى الثالث عشر بابا روما قراراً تاريخيًا جريئا بمقاييس عصره وهو أن يصحح هذا الخطأ . فقام بعملية تغيير هامة فى التقويم الميلادى ووضع قواعد جديدة هى التى تسير عليها أوروبا من وقتها حتى الآن، وهى أن يستمر الوضع القديم بوجود السنة البسيطة وقدرها ٣٦٥ يوماً وسنة كبيسة هى ٣٦٦ يوماً كل أربع سنوات ولكنه قرر أن يصحح هذا الفارق الزمنى والذى يصل إلى ٣ أيام كل ٤٠٠ سنة وكان قراره الجرئ

الأول بأن يسقط عشرة أيام من التقويم اليوليانى القديم حتى يبدأ الاعتدال الربيعى ليكون يوم ٢١ مارس وقد تم ذلك بأن يكون اليوم التالى للخميس ٤ أكتوبر ١٥٨٢ هو الجمعة ١٥ أكتوبر ولعل هذا هو السبب الجوهرى فى اختلاف موعد عيد الميلاد فى الكنائس الغربية عنه فى الكنائس الشرقية وكذلك قرر البابا جريجورى الثالث عشر أن السنوات الألفية أى التى تحمل أرقام ١٦٠٠ ، ١٧٠٠ ، ١٨٠٠ ، ١٩٠٠ ، ٢٠٠٠ ، لا تكون .كلها كبيسة حتى يصحح هذه الفروق الدقيقة البسيطة فى زيادة طول السنة الشمسية ووفق الترقيم اليوليانى القديم عما وصله علمهم الفلكى الحديث وقرر أن السنة الألفية وهى كلها فى الأصل تقبل القسمة على ٤ ومن ثم كانت محتسبة كبيسة. قرر جريجورى فى تقويمه أن لا تحتسب كبيسة إذا كانت تقبل القسمة على ٤٠٠ ولذلك لم تحتسب عام ١٦٠٠ سنة كبيسة، كما إننا وفق التقويم الجريجورى لن نحسب عام ٢٠٠٠ والذى يحل بعد ٣ أعوام سنة كبيسة بل ستكون سنة بسيطة أى ٣٦٥ يوماً فقط وقد اتفق الفلكيون فيما بعد على أن هذه القواعد جيدة ودقيقة وكافية مرحلياً ولكن سيكون هناك زيادة طفيفة جداً جداً تصل إلى ٣ أيام كل عشرة آلاف سنة.

يا ترى مين يعيش ونترك ذلك للزمن وكيف ستكون عليه أحوال العالم بعد عشرة آلاف سنة وأحوال البيئة واللغات وطريقة حساب الزمن ونمط الحياة كله. فقد تصحح هذا الخطأ منذ نحو ٤٠٠ سنة، فكان إبداعاً حقيقياً أن تتم كل هذه المعرفة الفلكية على هذا النحو الدقيق فى نهاية العصور الوسطى التى أسميناها بالمظلمة.، ولكنها ولا شك كانت إرهاصات لبداية عصر النهضة، ومن عجب أن تكون البداية من خلال أحد بابوات روما عام ١٥٨٢ .

إننى على يقين من أن القارئ- بصرف النظر عن انتمائه الدينى- سوف يتساءل وما علاقة كل ذلك بتحديد يوم معين لعيد الميلاد، فقد اكتشفت من خلال القراءة والفحص للمراجع والموسوعات على أنواعها أموراً أدهشتنى كثيراً ورغبت فى أن يشاركنى فيها قراء «الأهرام» ذلك أن أول من فكر فى وضع بداية للتقويم الميلادى كان راهباً كاثوليكيا يدعى دينس لى بيتيت Denys le Petit أى دينس الصغير والذى اقترح عام ٥٣٢ ميلادية أن تكون بداية العصر المسيحى هى يوم ٢٥ ديسمبر من عام ٧٥٣ لتأسيس روما وكانت هذه هى نقطة البداية فى ظهور «تقويم ميلادى» إلى حيز الوجود ، ولكنها تغيرت بعد ذلك تكون أول يناير ثم تعدلت من قيادات الكنيسة الكاثوليكية

وقدمته عن الموعد الذى حدده دينس حتى يتفق مع الوثائق التاريخية لموت هيرودس الملك حسبما جاء في الإنجيل. أما موعد أعياد الميلاد فى كنائس الشرق فلم يتحدد إلا بعد ذلك بنحو قرن من الزمان واستمرت مرتبطة بقواعد اليوليانى، لعل أبرزها هو ٧ يناير لقبط مصر وهو يوافق ٢٩ كيهك بالتقويم القبطى للشهداء وهو التقويم الذى اتخذ ذات الأشهر الفرعونية القديمة وكذلك كنيسة الأرمن والتى تحتفل به يوم ٦ يناير من كل عام والمعروف أن الكنائس الشرقية تعتبر أن عيد القيامة هو العيد الأكبر، بينما تعتبر الكنائس الغربية أن عيد الميلاد هو المناسبة الأولى للاحتفالات الكبرى دون منافس.

وهناك غموض آخر حول اختيار يوم ٢٥ ديسمبر بالذات ليكون عيد الميلاد وأكثر المقولات شيوعًا بأنه احتفال ومهرجان له تقاليده من عصور سابقة على المسيحية حيث كان المشاهد أن يوم ٢٥ ديسمبر هو أقصر أيام السنة بالنسبة للإضاءة الطبيعية أى أقصرها نهارًا ومن ثم كانت الاحتفالات الوثنية القديمة مستبشرة بدخول حقبة زيادة ساعات النهار ومن ثم ربطوا بين ذلك وبين مقولة المسيح أنه «نور العالم» أي تكون صلة ما أو تشبيه بين مولده وزيادة ضوء الشمس وبين مولد المسيح «نور العالم» أما كلمة «كريسماس» فهى لا تعنى إلا قداس المسيح Christs mass وهى كلمة مستحدثة نسبيًا وظهرت فى القرن السادس عشر فى أوروبا.

وهناك عادات كثيرة ارتبطت بـ «الكريسماس» ، بدأت فى أوروبا ثم انتشرت إلى أنحاء كثيرة من العالم ربما كان أهمها تزيين الحديقة أو القاعة الرئيسية بما يسمى «شجرة عيد الميلاد» وهى شجرة خاصة استقدمت من اسكندنيفيا ، لأنها شجرة دائمة الخضرة حتى فى أشهر الثلج والصقيع تعبيرًا عن استمرار الحياة بشكل دائم فصارت رمزًا للحياة الأبدية.

أما أسطورة «بابا نويل» فتعود إلى القرون الأولى للمسيحية ربما القرن الرابع حيث كان أحد الأساقفة المدعو الأنبا نيقولاس وكان بدينا وطيب القلب يوزع الهدايا على الناس إبان صلوات عيد الميلاد وذلك فى منطقة آسيا الصغرى والتى صارت تركيا فيما بعد، وقد كانت مركز المسيحية فى تلك القرون ثم صارت مركزًا للخلافة العثمانية فيما بعد، ولكن من أحيا هذه الشخصية وحول اسمها إلى «سانت كلوز» كان الكاتب الأمريكى واشنجطن ايرفنج عام ١٨٢٢ عندما حول الأسقف إلى شخصية أسطورية خيرة مثيرة

للضحك والتفكه وتوزع الهدايا على الأطفال ومن ثم فهى فى مجملها تقاليع غربية حديثة نسبياً.

ربما أكون قد أطلت أكثر مما يجب فى هذا السرد التاريخى الذى ربما يكون فيه طرفة أو معرفة بتاريخ لا يعرفه إلا متخصصون ولكن ما أدهشنى بالفعل هو أن موعد ميلاد المسيح غير معروف أو محدد من وجهة نظر تدقيق تاريخى بحت ومن ثم فلا علاقة له بأى معتقد دينى أو لاهوتى أومذهبى ولذلك فإن التفكير فى توحيد هذا التاريخ ربما يكون أمراً وارداً أو موضع حلول توقيتية فى السنوات القليلة القادمة.

إننا نقترب من نهاية الألفية الميلادية الثانية للتقويم الميلادى والذى اكتسب موقعًا راسخاً فى كل أنحاء العالم دون استثناء بل صار تاريخ البشرية كلها مرتبطاً بموعد بدايته والتى لم تكن يقينية قاطعة فى القرون الأولى للمسيحية ولكنها اكتسبت يقيناً ورسوخاً لا يبارى حتى صار يؤرخ للأزمنة القديمة بأنها قبل الميلاد ويشار إليها اختصاراً بالحرفين Before Christ B.C. ـ و بعد الميلاد ويشار إليها بالحرفين Anno Domino A.D أي «سنة الرب».

ونعيش كذلك عصر سرعة تبادل المعلومات ونقترب مما صار يشار إليه بـ «العولمة» أى حقبة التقارب بين الشعوب، وإذا كان هناك ترديد لمبدأ إيجاد «الأرضية المشتركة» بين الأديان- وهو إحدى ركائز الحضارة فى مصر أى قبول «التعددية الدينية» فربما يمكن أن نتوقع اقتراحًا كأن يكون أول يناير عام ٢٠٠٠ مناسبة لأن تفكر المذاهب والطوائف المسيحية على تباينها بأن تجعله حلاً توقيتياً للاحتفال بعيد الميلاد فى كل أنحاء العالم فقد يكون ذلك نقطة بداية يدفعنا للتغاضى عن أمور أخرى أكثر تعقيداً وحساسية، لأن البشرية قد تأكدت بيقين أن أحداً منا لا يحتكر الحكمة وحده، وأن التنوع ظاهرة كونية وأنه لا سبيل إلا قبول الآخر ومن ثم سيكون غداً أكثر إشراقاً وكل عام وأنتم جميعاً بخير أقباطاً ومسلمين على حد سواء فى كل موقع من مصرنا الحبيبة.

الفصل السابع

اليوم وعائلته بين المفرد والجمع

اليوم بين المفرد وينقسم إلى (٢٤) أربعة وعشرين ساعة، والساعة تنقسم إلى (٦٠) ستين دقيقة، والدقيقة تنقسم إلى (٦٠) ستين ثانية.

أما اليوم بين الجمع وجمعه (٧) سبعة أيام يعطينا أسبوعًا وجمعه بين (٢٨) ثمانية وعشرين أو (٢٩) تسعة وعشرين أو (٣٠) ثلاثين يومًا تعطينا شهريًا قمريًا (حسب التقويم الهجرى) أما التقويم الميلادى للشهور فهو ثابت (ماعدا شهر فبراير) فهو يخضع للسنة الكبيسة وهى (٢٩) تسعة وعشرون يومًا، أما السنة الخفيفة فهى (٢٨) ثمانية وعشرون يومًا، أما السنة الخفيفة فهي (٣٦٥) ثلثمائة وخمسة وستون يوما، وأما السنة الكبيسة فهى (٣٦٦) ثلثمائة وستة وستون يومًا.

أما (٤) أربعة أسابيع فتعطينا شهرًا بالتقريب، و (١٢) اثنا عشر شهرًا يعطينا سنة كاملة بين الزيادة والنقصان حسب التقويم الهجرى وكذلك السنة الميلادية من الخفيفة والكبيسة حسب شهر فبراير بين ٢٨ و ٢٩ يومًا.

والسنة عادة تنقسم إلى أربعة فصول وكل فصل ثلاثة شهور والفصول هى الربيع والصيف والخريف والشتاء.

أما العقد decade فهو إجمالى عشر سنوات، وإجمالى (١٠٠) مائة سنة فهو قرن من الزمان.

أما اليوم عند المسلمين فهو مقسم إلى خمسة أوقات تقام فيها الصلوات الخمس. أما يوم الجمعة وخاصة وقت الظهيرة فهو هام جدا لإقامة صلاة الجمعة كما أمر الله تعالى بها.

وهناك ثلاثة تقاويم وهى:

١- التقويم العربي وشهوره

هى: محرم- صفر- ربيع الأول- ربيع الثانى-جمادى الأول- جمادى الثانى- رجب- شعبان- رمضان- شوال- ذو القعدة- ذو الحجة.

أشار عمر بن الخطاب بأن يتخذ العام الذى هاجر فيه النبى ﷺ من مكة إلى المدينة بدءاً للتاريخ الهجرى الإسلامى[1] .

٢- أما التقويم الميلادي وشهوره هي:

يناير- فبراير- مارس- إبريل- مايو- يونيو- يوليو- أغسطس- سبتمبر- أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر.

٣- أما التقويم القبطي وشهوره هي:

كيهك- طوبة- أمشير- برمهات- برمودة- بشنس- بؤونة- أبيب- مسرى- (نسئ ٥ أيام) توت- بابه- هاتور

أما الأسبوع فهو سبعة أيام وهي:

السبت- الأحد- الاثنين- الثلاثاء- الأربعاء- الخميس- الجمعة

ملحوظة:

العبرة برؤية الهلال هى أن الشهر جزء من السنة أى $\frac{١}{١٢}$ ، والشهر يمثل دورة القمر حول الأرض، والشهر القمرى يبدأ من غروب الشمس ويستمر فى الدوران حول الأرض لمدة ما بين ٢٩ و ٣٠ يومًا. والعبرة برؤية الهلال الجديد كل شهر تقريباً... والشهور العربية مرتبطة بالتقويم القمرى، بينما الشهور الميلادية مرتبطة بالتقويم الشمسي أساسه دوران الأرض حول الشمس[2] .

---

(١) وزارة التربية والتعليم: الشيخان (الصديق أبو بكر والفاروق عمر) ١٩٧٥ ص ١٥٧

(٢) د. أحمد فؤاد باشا: وكيل كلية العلوم جامعة القاهرة - الأهرام فى ١٩٩٧/٢/٥

الفصل الثامن

اليوم والأعياد الرسمية

خلق الله الوقت منذ أن خلق الأرض والسماوات والشمس والقمر والليل والنهار. كذلك نظم الله تعالى الوقت فى العبادات، فجعل الصلاة عبادة يومية بأوقاتها الخمسة، ثم جعل الصيام عبادة شهرية مرة واحدة فى السنة متمثلة فى شهر رمضان المبارك وجعل عددا من الشهور محرما فيه سلوكيات معينة من الإنسان، ثم جعل أياما محدودة للحج وهو عبادة سنوية.

وعندما ازداد عدد سكان الأرض وعمروها وتكونت الشعوب والقبائل والدول، أصبحت لكل دولة أيام ترمز إلى مناسبات معينة تعطل فيه العمل أو لا تعطل، وهذا اليوم أو هذه الأيام إما أن تكون دينية أو وطنية أو تاريخية أو قومية تهدف إلى حدث معين حدث فى مثل هذا اليوم.

ونضرب مثلاً: جمهورية مصر العربية:

١ - **الأعياد الدينية**: مثل عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحى المبارك، وعيد رأس السنة الهجرية. والمولد النبوى الشريف.

ملحوظة: لا أستطيع ذكر تواريخ الأعياد الدينية لارتباط السنة الهجرية بالتقويم الهجرى وهو على مدار التقويم الميلادى.

٢- **الأعياد الوطنية**: عيد تحرير سيناء (٢٥ أبريل) عيد الجلاء (١٨ يونيو) ، عيد ثورة ٢٣ يوليو (٢٣ يوليو)، عيد القوات المسلحة (٦ أكتوبر)، عيد مدينة السويس (٢٤ أكتوبر)، عيد النصر (٢٣ ديسمبر).

٣- **الأعياد التاريخية**: شم النسيم، وفاء النيل (فى النصف الثانى من أغسطس).

٤- **الأعياد القومية**: عيد العمال (أول مايو).

هذا وقد ورد حديث شريف عن النبى ﷺ بأن يوم الجمعة هو عيد وأجازة عند المسلمين، ويوم السبت هو عيد وأجازة عند اليهود، ويوم الأحد عيد وإجازة عند المسيحيين.

وهناك ثلاثة أيام لا تنسى فى حياة الإنسان وهى يوم ميلاده ويوم زواجه (فى حالة زواجه) ويوم وفاته.



الباب الثانى

الفصل الأول: اليوم في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: اليوم في بعض الأحاديث النبوية.

الفصل الثالث: اليوم في أقوال الحكماء.

الفصل الرابع: اليوم في الأمثال العامية.

الفصل الخامس: اليوم وعائلته في الرؤيا المنامية.



الفصل الأول

اليوم في القرآن الكريم

نظرًا للأهمية الكبرى والعظيمة لنهاية الحياة الدنيوية وبداية الحياة الأبدية. فقد ذكر القرآن الكريم كلمة (اليوم) أكثر من (٤٥٥) مرة تقريبًا بين التعريف والنكرة وبين المفرد والمثنى والجمع وبين الاسم والصفة والموصوف وبين الفعل والفاعل والمفعول وبين المضاف والمضاف إليه حسب نزول الآية وبلاغة التركيب اللغوى وروعة التعبير، وقد ذكر كلمة (يوم) حوالى (٢٤٠) مرة تقريبًا، ويوم الآخرة (٩٤ مرة)، ويوم القيامة (٦٨) مرة، واليوم الآخر (٢٧) مرة، وكلمة يومئذ (٢٤) مرة، ويوم معروف (٢٢) مرة، ويوم الدين (١٣) مرة، ويوم عظيم (٨) مرات، ويوم الفصل (٦) مرات.

هذا وسوف نستعرض كلمة (يوم) وصفاته ومسمياته اللغوية المختلفة داخل بعض آيات القرآن المذكورة وعلى سبيل الذكر:

يوم الدين [1]- الفاتحة/ ٤	يوم الخلود - ق/٣٤
يوم القيامة- البقرة/ ٨٥	يوم الخروج (من القبور)- ق/٤٢
يوم الحشر- الأنعام/ ٢٢	يوم الجمع[4] - التغابن/٩
يوم الحساب- إبراهيم/ ٤١	يوم التغابن[5] - التغابن/٩
يوم التلاق[2]- غافر/ ١٥	يوم التناد[6] - غافر/٣٢
يوم الصاخة[3]- عبس/ ٣٣	يوم الطامة الكبرى[7]-النازعات/٣٤

---

(١) يوم الجزاء

(٢) يوم الاجتماع فى المحشر.

(٣) الصيحة تصم الآذان لشدتها [النفخة الثانية]

(٤) فى يوم القيامة حيث تجتمع الخلائق للحساب والجزاء.

(٥) يظهر فيه الكافر بتركه الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره فى الإحسان.

(٦) يوم القيامة للنداء فيه إلى المحشر

(٧) الداهية العظمى (القيامة)

يوم الحسرة – مريم/ ٢٩

يوم الأحزاب – غافر/ ٣٠

يوم الحج الأكبر – التوبة/ ٣

يوم الجمعة – الجمعة/ ٩

يوم القارعة(١) – القارعة/ ١

يوم الفتح(٢) – السجدة/ ٢٩

يوم الآزفة (٣) – غافر/ ١٨

يوما عبوسًا قمطريرا(٤) – الإنسان/ ١٠

يوم يبعثون – الحجر/ ٣٦

يوم تقوم الساعة (٥) – الجاثية/ ٢٧

يوم يقوم الأشهاد(٦) – غافر/ ٥١

يوم عسر(٧) – القمر/ ٨

يوم مجموع له الناس – هود/ ١٠٣

يوم الفصل (٨) – الدخان/ ٤٠

يوم الوعيد – ق/ ٢٠

يوم الوقت المعلوم – الحجر/ ٣٨

يوم البعث – الروم/ ٥٦

يوم الظلة(٩) – الشعراء/ ١٨٩

يوم الزينة(١٠) – طه/ ٥٩

يوم مشهود(١١) – هود/ ١٠٣

يوم عظيم – الأنعام/ ١٥

يوم لا ينطقون – المرسلات/ ٣٥

يوم تشخص فيه الأبصار(١٢) – إبراهيم/ ٤٢

يوم عقيم(١٣) – الحج/ ٥٥

يوم لا ينفع مال ولا بنون – الشعراء/ ٨٨

يوم معلوم – الشعراء/ ٣٨

---

(١) القيامة تقرع القلوب بأهوالها.
(٢) النصر علينا، أو الفصل للخصومة.
(٣) يوم القيامة لقربها.
(٤) تكلح فيه الوجوه لهوله– شديد العبوس
(٥) أى يوم القيامة.
(٦) الملائكة والرسل والجوارح
(٧) صعب شديد لعظم أهواله.
(٨) يوم القيامة والحساب.
(٩) سحابة أظلتهم ثم أمطرتهم نارًا.
(١٠) يوم عيدكم(يوم مشهود).
(١١) أى عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس والجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه الذى لا يظلم مثقال ذرة.
(١٢) ترتفع دون أن تطرف من الهول.
(١٣) لا يوم بعده (يوم القيامة).

يوم محيط [1] - هود/٨٤	يومًا ثقيلاً[5] - الإنسان/٢٧
يوم كبير[2] - هود/٣	يوم أليم[6] - هود/٢٦
يوم ينادى المنادى[3] - ق/٤١	اليوم الآخر - الطلاق/٢
اليوم الموعود[4] - البروج/٢	اليوم الحق - النبأ/ ٣٩
اليوم لله الواحد - غافر/١٦	اليوم حديد[7] - ق/٢٢

هذا وبعد استعراضنا للمسميات الكثيرة والتعبيرات اللغوية البليغة ليوم القيامة، ذُكِرَ هذا اليوم أيضًا تحت مسمى آخر هو الدار الآخرة بدار المتقين حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة: النحل]. وآية أخرى تقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [سورة: النساء]

وبالاختصار أستطيع أن أقول أن جميع الآيات التى ذكر فيها يوم القيامة جاءت كلها للتحذير والتنبيه والتذكر والتخويف والوعد والوعيد، وبين الترغيب والتهديد، والبعث والنشور وبين الحق والتأكيد وبين الحشر والجمع للإنس والجن جميعًا منذ آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة... وفى هذا اليوم الحساب والفصل والحكم أيضًا بعد نزول الملائكة بصحائف الأعمال لكل العباد.. وكل نفس لها سائق وشهيد (هما ملكان أحدهما يسوق الإنسان والآخر يشهد عليه) (ق/٢١).

هذا وسوف تقوم القيامة على أساس ظهور الآيات العشر قبل القيامة والحشر

(١) مهلك

(٢) يوم القيامة

(٣) قال قتادة قال كعب الأحبار يأمر الله تعالى يوم القيامة ملكًا أن ينادى على صخرة ببيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركم أن تجتمعن لفصل القضاء.

(٤) يوم القيامة.

(٥) شديد الأهوال(يوم القيامة)

(٦) موجع وشاق

(٧) نافذ قوى.

والمـــذكورة بعد ذلك، ثم تأتي بعـدهـا الآيات الأربـع عشرة ومعظـمها خاص بالســماوات والأرض والشمس والقمـر والنجـوم والكواكب ثــم زواج النفـوس بالأبدان.

وأيضاً سوف تعود الذاكرة للإنسان لكـي يتـذكر أعمـاله الصالحة وأعماله السيئة وبعد ذلك تعـود الحواس الخمس وتعمـل بكامل طاقتها ومـن الناس سوف يعتـرض على شهادة الحواس ويتعجب الإنسان كيف تنطق؟ فتقول الحاسة أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ(١) لكل عمـل خيراً أو شراً يصـدر من الإنسـان لأن الله تعالـى عـدل مطلق.

ويو م القيامة هو يوم البعث أيضاً لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى زوجت بالأبدان(٣) ولن تبعث النفس بصورتها فـى الدنيا وإنمـا تُبعـث بصورتها الشبابية فى صـور مختلفـة طبقاً لأعمـال الإنسـان مثـل الآيتين: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾ [سورة :آل عمران] ومثـل آخـر لأحد الناس وهو البعث علـى وجهـه وليس علـى رجليه وهـى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ(٩٧) ﴾ [سورة: الإسراء](٥)

ومن الناس من يبعث أعمى وكان بصيرا فى الدنيا ويسأل الله تعالى لماذا بعثتنى أعمى

---

(١) سورة فصلت/ ١٩-٢٣، سورة النور/٢٣، ٢٤ .

(٢) سورة يونس/٢١

(٣) سورة التكوير/٧

(٤) سورة آل عمران/١٠٦، ١٠٧

(٥) سورة: الإسراء/٩٧

وكنت بصيرا فى الدنيا؟يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [سورة: طه].

وكذلك مؤذن الصلاة يُبعث ورقبته طويلة لأنه كان يدعو الناس للصلاة، والحديث عن بعث الأشكال للناس كثيرة وصورها متعددة واكتفينا ببعض الأمثلة السابقة.

وأرجو من القارئ العزيز ألا ينسى يوم القيامة طبقًا لقوله تعالى:﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ﴾ [سورة: الجاثية]

أيها القارئ انتبه أنت فى غفلة من لقاء الله ولا مفر من لقاء الله حيث يقول: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) ﴾ [سورة: الأنبياء] ، فأرجو سرعة النظر فى سلوكياتك تجاه ربك وتعاملك مع الناس ومع جميع الكائنات الأخرى. أطع كلام الله وسنة رسوله ﷺ سوف تكون لك السعادة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة.



الفصل الثاني

اليوم في بعض الأحاديث النبوية[1]

(لا يسب أحدكم الدهر، فإن الله هو الدهر) رواه مسلم

١٨٥٤- وعنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال: (خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق وفى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل) رواه مسلم.

١٧٦٠- عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:(لاتخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى، ولاتخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم) (رواه مسلم).

١٧٦١- وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يومًا قبله أو يومًا بعده) (متفق عليه).

١٧٦٢- وعن محمد بن عياد قال: سألت جابرًا رضى الله عنه: أنهى النبى ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم. (متفق عليه).

(خيركم من طال عمره وحسن عمله) رواه مسلم

١٧٦٣- وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهى صائمة، فقال: (أصمت أمس؟) قالت: لا، قال: (تريدين أن تصومى غدًا) قالت: لا ، قال: (فأفطرى) (رواه البخارى).

١٢٤٦- عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) رواه مسلم.

٩٥٦- عن كعب بن مالك (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ خرج فى غزوة تبوك يوم الخميس، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس.(متفق عليه).

وفى رواية فى (الصحيحين): لقلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلا فى يوم الخميس.

٩٨٥- عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا طال أحدكم الغيبة فلا

---

(١) الإمام النووى: رياض الصالحين.

يطرقن أهله ليلاً). [الطروق:المجئ فى الليل) وفى رواية أن رسول الله ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً (متفق عليه).

١١٤٧- وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها) رواه مسلم.

١١٥٦- وعنه أن رسول الله ﷺ، ذكر يوم الجمعة، فقال: (فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلى يسأل الله شيئًا، إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها) متفق عليه. (يقللها) أى يجعلها قليلة.

١١٥٨- وعن أوس، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

١٢٦٨- عن ابن عمر، رضى الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان. متفق عليه.

١٢٧٤- وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه) متفق عليه.

١٨١٤- وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مابين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال) رواه مسلم.

- قال رسول الله ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)- رواه البخارى والترمذى والنسائى. النعمة: العطية، الحال الحسنة. مغبون: مخدوع، الصحة: حالة فى البدن تجعل وظائفه تجرى مجراها الطبيعى. الفراغ: الخلو ويطلق على خلو البال من الهموم، وعلى الخلو من الشغل.

- شهر شعبان.قال رسول الله ﷺ ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم.

- قال رسول الله ﷺ من صام رمضان إيمانًا وإحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

- قال رسول الله ﷺ من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

- الأيام البيض ١٣، ١٤، ١٥ من كل شهر [لحديث أبى هريرة (رضى الله عنه) أوصانى خليلى ﷺ بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر].

– قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار [فإذا كان رمضان اعتمرى فيه فإن عمرة فى رمضان حجة].

١٢٤٧– وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: لم يكن النبى ﷺ، يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله. وفى رواية كان يصوم شعبان إلا قليلا. (متفق عليه)

١٢٤٩– عن ابن عباس ، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام) يعنى: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: (ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه، وماله، فلم يرجع من ذلك بشئ)– رواه البخارى.

١٢٥٠– عن أبى قتادة ، رضى الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: (يكفر السنة الماضية والباقية) رواه مسلم

١٢٥٢– وعن أبى قتادة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: (يكفر السنة الماضية) رواه مسلم.

١٢٥٤– عن أبى أيوب ، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر) رواه مسلم.

١٢٥٥– عن أبى قتادة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: (ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت، أو أنزل على فيه) رواه مسلم

١٢٥٦– وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم) رواه الترمذى وقال: حديث حسن، ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

٤١١– وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلا) قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض!؟ قال: (يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك).

وفى رواية (الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض، متفق عليه . (غُرلاً) بضم الغين المعجمة، أى: مختونين. (مقطوعين)

١٨٢٠- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود، حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودى خلفي تعال فاقتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) متفق عليه.

١٨١٠- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوماً أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم ﷺ فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل، ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير، وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم فى ذلك دار رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ فى الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله- أو قال: ينزل الله- مطراً كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون، ثم يقال: اخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق) رواه مسلم.

(الليت) صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

الفصل الثالث

اليوم فى أقوال الحكماء

– قيل لعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه): كم بين المشرق والمغرب؟ فقال مسيرة يوم للشمس. قيل له: فكم بين السماء والأرض؟ قال: مسيرة ساعة لدعوة مستجابة!.

– سئل على بن أبى طالب (رضى الله عنه) عن عدد أصدقائه فقال: لا أدرى لأن الدنيا مقبلة، والناس كلهم مقبلون، وإنما أعلم ذلك إذا أدبرت عنى، فخير الأصدقاء من أقبل إذا أدبر الزمان عنك.

– من وصية لقمان: إياك والدَّيْن فإنه ذل بالنهار وهم بالليل.

– خطب أبو ذر عند الكعبة فقال: أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد؟ فقالوا: نعم، فقال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون فقالوا: دلنا على زاده، فقال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور.

– أيام الدهر ثلاثة:

١ – يوم مضى، لا يعود إليك ٢ – ويوم أنت فيه، ولا يدوم عليك. ٣ – ويوم مستقبل لا تدرى ما حاله، ولا تعرف من أهله!.

– قال سقراط: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم. للحياة حدان: أحدهما الأمل والآخر الأجل، فبالأول بقاؤها، وبالآخر فناؤها.

– الدهر يومان.. يوم لك ويوم عليك.

– اعمل ليومك واعمل لآخرتك فأنت لا تعلم متى.

– افعل المعروف..حصن من صروف الزمن.

– دع الطاغية للزمان يؤدبه.

– الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

–خذ من الدهر ما صفا... ومن العيش ماكفى.

– من ائتمن الزمان خانه

– لا يغرنك صحة نفسك، فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة.

–اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً.. واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

– الوقت من ذهب Time is money (مثل انجليزى)

– الأيام مزرعة، ومن زرع فيها حصد.

– تنظيم العمل يوفر نصف الوقت.

– لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد.

– الأيام صحائف أعمالكم.. فخلدوها بأحسن أعمالكم.

– الظلم ظلمات يوم القيامة.

– اعلم أن الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك. فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر فكلاهما سينحسر.

– لقى أحد العلماء رجلاً زاهداً فسأله: أيها الزاهد كيف ترى الدهر؟ قال: الدهر يخلق الأبدان، ويجدد الآمال ويساعد الأمنية، ويقرب المنية، فقال العالم: فما حال أهله؟ فقال: من ظفر به تعب، ومن فاته تعب. قال: فما الغنى عنه؟ فأجاب: قطع الرجاء منه. قال: فأى الأصحاب أبرّ وأوفى؟ قال: العمل الصالح. قال: فأى الأصحاب أضر؟ قال: النفس والهوى. قال: فما المخرج؟ قال: فى سلوك المنهج والطريق المستقيم.

– الحازم من حفظ ما فى يده ولم يؤخر شغل اليوم إلى غده.

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

(شاعر قديم)

– دواءالدهر الصبر عليه.

– أول الليل: الغسق ، أول الصبح: تباشيره.

الفصل الرابع

اليوم في الأمثال العامية[1]

- (بكره يدوب التلج ويبان المرج)

يضرب فى أن كل مستور مجهول لابد من ظهوره حتى حان الحين وزالت الحوائل.

-(بكره يهل رجب وتشوف العجب)

أى غداً يهل رجب ، وهو الشهر الذى وعدنا فيه بالعجائب فنراها. والمراد كل آت قريب فلا تكثروا الأراجيف رجماً بالغيب وإنما خصوا هذاالشهر بالذكر لأن أصحاب الأجفار ومدعى علم الغيب يزعمون أن وقوع الحوادث الغريبة يكون بين جمادى ورجب حتى اشتهر بين الناس قولهم: (بين جمادى ورجب تشوفوا العجب).

- (بكره نعقد على الحيطة ونسمع العيطة)

أى ما تحاولون كتمانه اليوم سيشيع غداً ويصرف الناس من فوق الحيطان لرؤيته وسماع ما يقال عنه.

- (يوم عسل ويوم بصل)

أى يوم لك ويوم عليك.

- (خالتى عندكم ما جاتش)

يضرب للكناية عن المدة القليلة.

- (الشهر ثلاثين يوم والناس تعرف بعضها من زمان)

أى لم يزل الشهر ثلاثين يوماً ولم يتغير نظام الكون والناس يعرف بعضهم بعضاً من قديم.

- (السهران ليله طويل والنايم ليله غمضة)

معناه أن الليل ما هو قصير إلا على اللى ينامه.

---

(١) أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية- مركز الأهرام للترجمة والنشر.

– (إِلهَمّْ فى الدنيا كتير بس مفرق)

– علامة القيامة لما تشرب من الخيط وتشوف فى النور فى الخيط)

من الأمثال القديمة جداً أى قبل أن يوزع الماء فى القنى ونور الكهرباء فى الأسلاك.

– (حصيرة الصيف واسعة)

يريدون بالحصيرة هنا: المكان. أى لا يضيق مكان بقوم فى الصيف لاستطاعتهم النوم فى الخلاء.

– السنة السودة خمستا شر شهر.

أى خمسة عشر شهراً. يضرب لطول أيام المحن السوداء فى نظر الناس.

– إن نام لك الدهر لا تنام له.

أى لا تأمن الدهر فى سكونه.

– (آهى ليلة وفراقها صبح)

والمراد هى ليلة واحدة ستفارقنا فى الصباح فليكن فيها ما يكون فالمدة وجيزة ولها آخر معروف.

– (إدينى اليوم صوف وخد بكره خروف)

بمعنى اعطنى اليوم صوفا فإنى راض به على أن أعطيك غداً خروفا لأنى أفضل العاجل على الآجل وإن كان دونه فهو فى معنى المثل الآخر. (بيضة النهاردة أحسن من فرخة بكره)

– ساعة لقلبك وساعة لربك

يضرب للاعتدال فى الأمور. أى اجعل ساعة لقلبك وانشراحه وساعة لعبادة ربك.

– (كداب اللى يقول الدهر دام لى إلخ)

هى دامتا لمين يا هبيل.

– (الليلة المنيرة من العصر بينة)

والمعنى الليلة المنيرة بالأنس والشرور تظهر طوالعها من وقت العصر، أى الشئ تدل عليه أوائله.

- (النهارده دنيا وبكره آخرة)

أى تذكر أن بعد اليوم يوماً آخر تحاسب فيه.

- (النهار له عينين)

بمعنى أن النهار يتضح فيه الشئ وتظهر خفاياه.

- يوم فى العافية كثيرة.

أى ينبغى أن يغتبط به المرء ويشكر الله تعالى إحسانه عليه به.

- (يوم النصر ما فيهش تعب)

أى مهما يكن فيه من التعب فإنه محتمل لا يحس به للذة النصر.

- (يوم الهدد مافيهش بناية)

أى يوم الهدم لا بناء فيه. والمقصود لا تؤمل شيئاً فى وقت عمل ضده.

- بين اللبه واللبه أربعين يوم)

بين زرع اللبة وبين ظهورها أربعون يوماً ينبت فيها الزرع. يضرب فى تقريب الزمن..



الفصل الخامس

اليوم وعائلته في الرؤيا المنامية[١]

في رؤ يا الجمع والأيام:

أما الجمع فإنها تؤول بالسنين أو الأشهر كما تقدم فى معنى الحديث وقيل زوجة حسنة وقيل اجتماع على الخير وتقوى الله وكفارة الذنوب. وأما الأيام قال جعفر الصادق أحسن ما يرى فى الأيام يوم الجمعة ثم يوم الاثنين والخميس وكلما يرى الإنسان اليوم صافياً نيراً فهو حسن فى حقه وجيد حسبما يكون ضوؤه ونوره، ومن رأى يوم السبت وظن أنه الجمعة فإنه يشتغل بشغل ويعتقد أنه خير والأمر بخلافه وقال جابر المغربى من رأى ذلك يدل على محبته لليهود، ومن رأى يوم الأحد واعتقد أنه يوم الجمعة يكون مصاحبًا للنصارى، وقيل رؤيا الجمعة على حقيقتها خير ونعمة ورؤيا السبت توقف على أمر ورؤيا الأحد ابتداء أمر، ورؤيا الأثنين سعى فى أمر وحصوله؛ ورؤيا الثلاثاء راحة من تعب ورؤيا الأربعاء ثبات واستمرار وقيل غيظ وحصر ورؤيا يوم الخميس خير وبركة وقيل رؤيا يوم الثلاثاء وإذا اعتقد أنه الجمعة يكون مصاحبًا لأهل الفساد. وإن رأى يوم الأربعاء كذلك يكون محباً لأهل البدعة ومن رأى يومًا من الأيام وما عرف ما هو فليس بمحمود، ومن رأى أنه يعد الأيام فإنه يدل على محاسبة أحد وقيل عد الأيام فإنه يدل على محاسبة أحد، وقيل عد الأيام يؤول على خمسة أوجه منصب وأجرة وحساب وخَير ونعمة وسفر، وقيل من رأى يوماً تغير وهو متعجب من ذلك فإنه يدل على تغير أحواله.

في رؤيا الأشهر[٢]:

من رأى شهر المحرم فيؤول على ثلاثة أوجه وقار وحج وإظهار سرور، وأما صفر فيؤول على وجهين غم وهم وعز وولاية، وأما ربيع الأول فعلى ثلاثة أوجه فرح وسرور وخير ونعمة وظهور تهانى ونمو صدقة، وأما ربيع الآخر ففيه وجهان خروج من ضيق إلى سعة وازدياد فى الأرزاق. وأما جمادى الأولى فعلى ثلاثة أوجه برد وراحة من تعب وتعطيل سفر، وأما جمادى الآخرة حصول بركة وتوبة. وأما رجب فعلى أربعة أوجه إخماد فتنة

---

(١) الشيخ عبدالغنى النابلسى: تعطير الأنام فى تعبير المنام. ص ص ١٢٤، ١٢٥

(٢) المصدر السابق. ص ١٢٣ .

وتحريم قوم وبركة وخير، وأما شهر شعبان فتشعب رحمة وأما شهر رمضان ففيه ستة أوجه توبة إلى الله تعالى وعبادة وكف عن المعاصي وحصول خير وإحياء سنة وكثرة رزق، وأما شوال ففيه وجهان شروع فى أمر وافتتاح سفر وقيل ارتكاب أمور صعبة، وأما ذو القعدة وذو الحجة فيؤولان على ثلاثة أوجه حج وسلوك أمر وحصول رزق ومنفعة.

في رؤيا السنين [1]:

من رأى رأس السنة ورأى ما يدل على الخير فتكون تلك السنة عليه مباركة وإن رأى ضد ذلك فضده، ومن رأى من يخبر عن أمر لمدة من السنين فإن كان ممن يقبل قوله فى اليقظة فربما يكون الأمر بعينه فى المدة المذكورة وربما تدل السنة على الشهر أو على الجمعة أو على اليوم ورجح بعضهم أن السنة تعبر بالشهور لما ورد فى الحديث المشهور، وقيل المدة وقال بعضهم السنة تؤول على خمسة أوجه بالمرأة وبالسنة وبالبقرة وبالرهبانية والخصب وبالجدب.

في رؤيا الأعياد [2]:

من رأى عيد الأضحية فإنه يدل على مصاحبته لرجل عالم لأسباب الخير وحصول منفعة دينية منه. وقال الكرمانى من رأى عيداً من الأعياد والناس ظاهرين من المدينة فتأويله على ستة أوجه عز وفرح وشرف وإطلاق من سجن وتوبة، ومن رأى عيداً أو لم يكن عيداً على الحقيقة فإن كان من أهل العز والشرف فنقص فى منصبه، وإن لم يكن ذا عز فوقوف حال فى معيشته. وقال جابر المغربى من رأى عيد الأضحى فإن كان فى أوانه فإنه يصاحب من يحصل له منه نتيجة وإن كان فى غير أوانه فيصحب رجلاً ليس منه نتيجة وقيل يبلغ مراده بمشقة وتعب. ومن رأى عيدا مما يعتقده أهل الذمة فحصول خوف من أعدائه. ومن رأى عيد عاشوراء فحصول زاد.

في رؤيا الساعات: [3]

من رأى الصبح وهو مضئ ومنير يحصل لأهل ذلك المكان أمن وخير وراحة وإن رأى بعد الصبح أو فى وقته ظلمة فتعبيره ضد ذلك. وربما يكون زيادة رزق إذا كان مضيئاً،

---

(١) المصدر السابق: ص ١٢٢

(٢) ص ١٢٥

(٣) المصدر السابق- ص ١٢٥

ومن رأى وقت الصبح محمراً فإنه حصول ضعف لأهل ذلك المكان. وقال جعفر الصادق رؤيا فلق الصبح تؤول بالدين والخير والصلاة والقوة.، ومن رأى الساعة الثانية من النهار فإنها تؤول على وجهين خير وبركة أو تهاون فى أمر وقال بعض المعبرين رؤيا الساعات تؤول بالسنين وقيل بالأشهر وابتداء عدد ساعات النهار إذا كان فى تساويه مع الليل وهو اثنتا عشرة ساعة فتكون الساعة الأولى بمكان شهر الله المحرم والثانية بمكان صفر والثالثة بمكان ربيع والرابعة بمكان ربيع الثانى والخامسة بمكان جمادى الأول والسادسة بمكان جمادى الآخرة والسابعة بمكان رجب والثامنة بمكان شعبان والتاسعة بمكان رمضان والعاشرة بمكان شوال والحادية عشرة بمكان ذى القعدة والثانية عشرة بمكان ذى الحجة.



الباب الثالث

اليوم وصوره المختلفة



١ـ اليوم وخلق السماوات والأرض

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾ [سورة : الأعراف]

(فى ستة أيام) أى فى ستة أوقات وأدوار لأنه لم يكن قد خلق اليوم قبل خلقها. (ثم استوى على العرش) أى ثم جلس على سرير الملك. وبما أن الله ليس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يؤخذ هذا الكلام على ظاهره بل يجب تأويله. وقد سلك علماء السنة هذا المسلك فقالوا: إن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف أى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن. وقالوا:العرش هوالجسم المحيط بسائر الأجسام. (يغشى الليل النهار) أى يغطيه به (يطلبه حثيثاً) شبه الليل فى تعقبه للنهار بالطالب الحثيث، أى السريع فى السير، (تبارك الله) البركة: ثبوت الخير الإلهى فى الشئ. وقوله تعالى: تبارك الله رب العالمين، تنبيه على اختصاصه بالخيرات، وترى الشمس والقمر مسخرات بأمره. لأن له كل شئ والتصرف المطلق فيه.

وقد أورد النسائى هذا الحديث[١] وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: [إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع، فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة فى آخر ساعة من النهار بعد العصر، وخلقه من أديم الأرض أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها؛ من أجل ذلك جعل الله من بنى آدم الطيب والخبيث).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾ [سورة : فصلت].

(١) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ص٤٥٦ ، ٤٥٧

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين [1] الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء المقتدر على كل شيء أى نظراء وأمثال تعبدونها معه (ذلك رب العالمين) أى الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم. وبدأ تعالى بخلق الأرض لأنها الأساس والأصل ثم بعد ذلك السقف وهو السماء وقوله تعالى ﴿ خلق الأرض في يومين﴾ يعني الأحد ويوم الاثنين ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾ أى جعلها مباركة قابلة للخير والبزر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها من الأرزاق والأماكن التى تزرع وتغرس يعنى يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال ﴿ في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ أى لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه. وقوله تعالى ﴿ ثم استوى إلي السماء وهي دخان﴾ وهى بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ أى استجيبا لأمرى وانفعلا لفعلى طائعتين أو مكرهتين. أى قال تعالى للسماوات اطلعى شمسى وقمرى ونجومى وقال للأرض شققى أنهارك وأخرجى ثمارك. أى نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والإنس جميعاً مطيعين لك. وقوله تعالى «فقضاهن سبع سماوات فى يومين» أى ففرغ من تسويتهن سبع سماوات في يومين أى آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة «وأوحى فى كل سماء أمرها» أى ورتب مقرراً فى كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التى لا يعلمها إلا هو « وزينا السماء الدنيا بمصابيح» وهى الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض (وحفظا) أى حرسًا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى «ذلك تقدير العزيز العليم» أى العزيز الذى قد عز كل شئ فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم.

وعن ابن عباس قال أن اليهود أتت النبى ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال ﷺ (خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب. فهذه أربعة وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، وفى الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة).

٢ـ اليوم والشمس والقمر وعدد السنين والحساب:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ [سورة : يونس]

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم- جـ ٤ ص ص ٩٢ - ٩٤ .

والقمر ليس مضيئا بذاته، ولكنه يستمد نوره من ضوء الشمس بفعل الانعكاسات التى تحدث فى الأشعة التى ترسلها الشمس، والشمس والقمر وغيرهما من الكواكب أفلاك تسبح فيها ولجميع الكواكب ومنها الأرض دورتان، دورة حول نفسها، ودورة حول الشمس، ومن هذه الدورات ينشأ الليل والنهار. وبنشوء الليل والنهار، تحسب الأوقات من الأيام والأسابيع، والشهور والسنين، وتحسب أجزاء اليوم الواحد وهذا الحساب فيه ضبط لأوقات العبادات اليومية فى الصلاة والسنوية كالصوم والزكاة والحج وفيه ضبط لجميع الأعمال المدنية والمالية الجارية بين الناس، ولعل المناسب أن نذكر هنا أن الشرع وقت للصوم وبالزكاة والحج والعمرة وغير ذلك من الأمور الدينية توقيتا قمريًا لا شمسيًا لأن التوقيت الشمسى يحتاج فى حسابه إلى عناء ودراسة والشمس تشرق كل صباح، وتغرب كل مساء، على نظام واحد رتيب، قرصها مكتمل من الشروق إلى الغروب، واختلاف الجو باختلاف الفصول ليس موجودًا فى كل الأقطار، ولا يمكن الاعتماد عليه في الحساب، أما القمرفإنه يبدو فى صور مختلفة، ويظهر فى هذه الليلة على غير ما كان عليه فى الليلة السابقة وعلى غير ما يكون عليه فى الليلة المقبلة ويظل قرصه فى تكامل وتناقص، ويظل وقت وشروقه وغروبه فى تقدم وتأخر .

٣- اليوم وخلق الليل والنهار وفوائدهما:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (١٢) ﴾ [سورة : الإسراء]

يمتن الله تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل وينتشروا فى النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا مضى الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك ولهذا قال ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أى فى معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقًا واحدًا وأسلوبًا متساويًا لما عرف شيء من ذلك. ثم جعل لليل آية أى علامة يعرف بها وهى الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة وهى النور وطلوع الشمس النيرة فيه.وآية أخرى تقول:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾
[سورة : آل عمران]

أى أن فى ارتفاع السماوات واتساعها والأرض فى انخفاضها و كثافتها وما بينهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وفى الأرض من بحار وجبال وقفار (صحارى) وأشجار ونبات وزرع وثمار.

﴿ واختلاف الليل والنهار﴾ أى تعاقبهما وتبادلهما الطول والقصر فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذى كان قصيراً ويقصر الذى كان طويلا وكل ذلك تقديرالعزيز العليم. ولهذا قال تعالى ﴿لآيات لأولى الألباب﴾ أى العقول التامة الزكية التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها وليسوا كالبكم الذين لا يعقلون(١). وفى آية أخرى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة: الفرقان]، (لباسا) شبه ظلام الليل باللباس فى ستره. (سباتا) أى راحة للأبدان بقطع المشاغل (نشورا) أى انتشارا.

الله جعل الليل قاطعًا للحركة لراحة الأبدان فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة فى الانتشار بالنهار فى المعاش فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذى فيه راحة البدن والروح معاً. ﴿ وجعل النهار نشورا ﴾ أى ينتشر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم..

٤ـ اليوم و طلب إبليس من الله تعالى

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة : الحجر].

المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس وهوالطين. (والجان خلقناه من قبل) أى من قبل الإنسان ﴿من نار السموم﴾ وعن ابن عباس أن الجان خلق من لهب النار وفى رواية من أحسن النار. وقد ورد فى الصحيح (خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم فى ملائكته قبل خلقه له وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل.

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمراً كونياً لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التى كان فيها من الملأ الأعلى وأنه رجيم أى مرجوم وأنه قد اتبعته لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير أنه قال: لما لعن الله إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة فى الدنيا إلى يوم القيامة منها. (رواه ابن أبى حاتم).

٥ـ اليوم وعمر الإنسان على الأرض

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) [سورة: المؤمنون] .

يقول تعالى منبهاً الناس على ما أضاعوه فى عمرهم القصير فى الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده لو صبروا فى مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون ﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾ أى كم كانت إقامتكم فى الدنيا ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوماً فاسأل العادين﴾ أى الحاسبين ﴿قال إن لبثتم إلا قليلا﴾ أى مدة يسيرة على كل تقدير﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أى لما آثرتم الفانى على الباقى ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيئ فى تلك المدة اليسيرة وقوله تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ أى أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا وقيل للعبث أى لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ أى لا تعودون فى الدار الآخرة كما قال تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدي﴾ يعنى هملا، وقوله ﴿ فتعالى الله الملك الحق﴾

أى تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أى حسن المنظر بهى الشكل.

٦- اليوم ولتنظر نفس ما قدمت لغد

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [سورة: الحشر]

يا أيها المؤمنون حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿واتقوا الله﴾ تأكيد ثان ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ أى اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير. وقوله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذى ينفعكم فى معادكم فإن الجزاء من جنس العمل. ولهذا قال تعالى ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ أى الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم.

٧- اليوم والحياة الدنيا

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)﴾ [سورة: يونس].

هذه الحياة الدنيا وما يكتنفها من المتع التى يحس الناس لها حلاوة، لا تلبث أن تزول مثلها كمثل الماء، ينزل من السماء مطرًا، فيختلط بالأرض فتخرج أنواعًا مختلفة من النبات النضير الجميل، الذى ينتفع به الناس فيما يأكلون، فيأخذون حبه وثمره وبقله، وينتفع به الحيوان فيما يأكل فيتغذى على غلته وشعيره وتبنه، ويملأ العين إعجابًا، والنفس فتكمل حسنًا ونضارة، يبلغ نبات الأرض هذا المبلغ من الجمال والكمال، ويعتقد صحاب تلك الزروع أنه لم يبق إلا الحصد والجنى والقطف، وأنهم سيغدون على حرثهم مبتهجين، فيأتي أمر الله،وينفذ قضاؤه، وتنزل نازلة بهذه الزروع على غفلة من أهلها ليلاً

وهم نائمون أو نهاراً وهم غافلون، فتأتى عليهم ولا تبقى شيئًا منها، فكأنها ما كانت بالأمس، فلا الديار ديار، ولا الثمار ثمار.

بهذا المثل العالى الحكيم يمثل حقيقة حال الدنيا، وانخداع الناس بها يفصل الله آياته للناس الذين لهم عقول يفكرون بها لعلهم يهتدون.

﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدارالآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾[سورة العنكبوت :٦٤]

وحقيقة هذه الحياة الدنيا أنها دار لهو ولعب، متاعها قليل، يتحول ويزول ثم هى سريعة المرور، والناس فيها لاهون بها، مشغولون عن غيرها، مفتونون بنعيمها الذى يمر مرورا سريعًا ثم ينفض، فلا دوام له ولا بقاء أما الدار الآخرة فهى دار الحياة الصحيحة الباقية الدائمة التى لا تزول ولا تنقطع.

وفى سورة الأنعام تقول الآية الكريمة رقم ٣٢:

﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾

٨ـ اليوم وتسبيح الله في المساء والصباح:

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة : الروم]

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده فى هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه. ثم اعترض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد أى هو المحمود على ما خلق فى السماوات والأرض ثم قال تعالى ﴿وعشياً وحين تظهرون﴾ فالعشاء هو شدة الظلام والإظهار قوة الضياء فسبحان خالق هذا وهذا فالق الإصباح.

وقال الإمام أحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون. وقال الطبرانى عن ...

عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال [من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون الآية بكلامها أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته في ليلته.

وفي آية أخرى تقول ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠)﴾ [سورة: طه].

﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني صلاة العصر. وعن رسول الله ﷺ يقول [لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها] رواه مسلم. وقوله ﴿ومن آناء الليل فسبح﴾ أي من ساعاته فتهجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء ﴿وأطراف النهار﴾ في مقابلة آناء الليل.

٩- اليوم ودعوة للمحافظة علي الوقت:(١)

من المعروف أن الزمن أو الوقت مخلوق لا يرى وقد خلقه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض مع تقسيمه حسابيًا وفلكيًا ليكون فترة اختبار للإنسان على وجه الأرض.

وأطلب من كل إنسان بالغ وعاقل أن يعيد النظر في كل ما يملك من وقت وإمكانيات، فالزمن كالمال كلاهما يجب المحافظة عليه إن قيمة الزمن كقيمة المال، وقيمة المال في جودة إنفاقه، أما قيمة الزمن ففي حسن استخدامه، كذلك من لم ينفق زمنه فيما يزيد من سعادته وسعادة الناس فعمره مزيف.

وضياع الزمن له سببان:

الأول: ألا يكون للإنسان غرض يسعى إليه، فقد قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): [إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا،لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته].

الثاني: الإخلاص فيما تعمل- مما يضيع الزمن أن يكون للإنسان غرض محدود، ولكن لا يخلص فيه فلا يجد الوصول إليه، وصدق الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠)﴾ [سورة: الكهف] - ولا شك أن إتقان العمل يقضى على أوقات الفراغ.

---

(١) المؤلف: عبدالغني عبدالرحمن محمد.

فالإسلام يرى من دلائل توفيق المؤمن أن يلهم استثمار كل ساعة من عمره فى العمل أو الاستجمام من جهد إستعداداً لجهد آخر. كما يجب على كل إنسان بالغ وعاقل أن يستفيد من وقت فراغه، فإنه إذا ما ضيع وقت فراغه فسوف يندم على ذلك فى المستقبل، فالوقت الضائع لا يمكن تعويضه.

١٠- اليوم وعدة الشهور عند الله:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦) ﴾ [سورة : التوبة].

إن عدد شهور السنة القمرية فى حكم الله وتقديره، منذ أن خلق السموات والأرض، اثنا عشر شهرا، لا ثلاثة عشر شهرا كما يفعل ذلك المشركون حسبما يوافق أهواءهم، فيجب اتباع أمر الله فيما ثبت واستقر فى كتابه من تخصيص وتعيين شهور السنة، التى فرض شرائعه وأحكامه على حسب عددها وتخصيصها، وجعل بها معرفة السنين، وإجراء المعاملات بين الناس، وتنفيذ أحكام الشريعة، وإقامة العبادات على حسبها، قال جل شأنه: «وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب». وقال: «يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج..»(١) ومن الاثنى عشر شهرا هذه أربعة أشهر حرم، معظمة عند الله من عهد إبراهيم عليه السلام، هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وذلك الحساب الصحيح، والعدد المحدود لشهور السنة وللأشهر الحرام هو الشرع المستقيم والدين القيم الذى يجب أن تتبعوه فلا تجعلوا الحرام منها حلالاً فتنتهكوا فيه الحرمات، وتقوموا بالغارات وتعلنوا القتال، فتأثموا بذلك، وتظلموا أنفسكم، واحزموا أمركم واجمعوا كلمتكم، وكونوا يداً واحدة، وكلمة واحدة، لتقاتلوا المشركين جميعاً واعلموا أن الله حدد بداية ونهاية الشهور طبقاً للآية التالية:

﴿ والقمر قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم(٣٩) ﴾ [سورة : يس]

منازل= مسافات، العرجون: عود النخلة العتيق.

(١) سورة البقرة/ ١٨٩ .

١١- اليوم وفضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

١٢٥٠- عن أبي قتادة رضى الله عنه، قال: سئل رسول الله (ﷺ): عن صوم يوم عرفة؟ قال: (يكفر السنة الماضية والباقية) رواه مسلم.

١٢٥٢- وعن أبي قتادة، رضى الله عنه، أن رسول الله (ﷺ)، سُئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: (يكفر السنة الماضية) رواه مسلم.

١٢٥٣- وعن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله (ﷺ) (لئن بقيت إلى قابلٍ لأصومن التاسع) رواه مسلم.

١٢- اليوم وفضل صوم المحرم وشعبان

١٢٤٦- عن أبي هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ) (أفضل الصيام بَعد رمضان شهرالله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل) رواه مسلم.

١٢٤٧- وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: لم يكن النبى (ﷺ) يصوم من شهر أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله، وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلا. متفق عليه.

١٣- اليوم و صوم شهر رمضان:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾ [سورة :البقرة]

يا أيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرضه على جميع الأمم التى سبقتكم لعلكم تتقون المعاصى فإن الصيام يكسر الشهوة. أياماً معدودات أى موقتات بعدد معلوم.

فمن كان منكم مريضاً مرضاً يضره الصوم أو مسافراً فعليه صوم عدة أيام المرض من أيام أخر. فإذا أطاق أحدكم الصيام ولم يرد الصيام فعليه فدية طعام مسكين نصف صاع من قمح أو صاع من غيره، فمن زاد في الفدية فهو خير له إن كنتم تعلمون. كان هذا في أول الأمر ثم نسخ وفرض الصيام بلا رخصة على كل قادر عليه كما يرى في الآية التالية: ذلكم شهررمضان الذى بدأ فيه نزول القرآن هدى للناس وآيات واضحات تفرق بين الحق والباطل. فمن رأى منكم الهلال فليصمه، ومن كان مريضاً أو مسافراً فليقض الأيام التى أفطرها من شهر آخر. يريد الله أن يسهل عليكم ولا يريد أن يشق عليكم. شرع لكم هذا لتكملوا عدة أيام رمضان ولتكبروا الله على هدايته إياكم ولعلكم تشكرون على ما يسره لكم.

١٤ـ اليوم وإقامة ليلة القدر:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤﴾ [سورة :القدر].

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله (ﷺ) (قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم) ورواه النسائى. ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وقوله تعالى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ أى يكثر تنزل الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوةالقرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما، أما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام، ﴿من كل أمر﴾ بكل أمر من الخير والبركة. وقوله ﴿سلام هي﴾ أى على أولياء الله وأهل طاعته وتفسير آخر هى سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو أذى وتقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى ﴿فيها يفرق كل أمرحكيم﴾ وقوله ﴿سلام هي حتي مطلع الفجر﴾ تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتي يطلع الفجر.

هذا وقد شرف الله تعالى الأمة الإسلامية بشهر رمضان وشرف شهر رمضان بنزول القرآن وشرف ليلة القدر على سائر الليالى، فكيف يستقبلها المسلم وكيف يعد لها حتى يغتنمها على أفضل وجه.

كان النبى (ﷺ) إذا دخل العشر الأواخر من رمضان يشد المئزر ويوقظ أهله كى يتحروا هذه الليلة، لأن الله سبحانه وتعالى أخفى هذه الليلة وقد أخبرنا النبى بتحريها فى العشر الأواخر من هذا الشهر وأجمع أهل العلم أن الله أخفاها فتارة تأتى فى الشفع من العشر الأواخر وتارة تأتى فى الوتر، ولكن العلماء يرجحون أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وينبغى علي كل مسلم أن يفعل ما كان يفعل رسول الله (ﷺ).

هذا وإن الله منح هذه الليلة للأمة الإسلامية عوضاً عن أعمارهم القصيرة كما روى مالك رضى الله عنه بأن النبى (ﷺ) اطلع على أعمار السابقين وعلى أعمار أمته فقال النبى (أعمار أمتى من الستين إلى السبعين وأقلهم لا يتجاوز ذلك) فكأنما النبى وجد أعمار أمته قليلة فعوضه الله تعالى لقصر أعمار أمته بليلة القدر فجعل ثوابها خيراً من عمل ألف شهر.

وقد جعل الله هذه الليلة تعويضاً للأمة الإسلامية حيث يصدر فيها الله أوامره للملائكة أجمعين فيهبطون من كل سماء إلى الأرض فيكونون كعدد الحصى وظيفتهم أن يؤمنوا على دعاء المؤمنين ويصافحوا كل مسلم قائم يصلى لله رب العالمين من آذان المغرب حتى طلوع الفجر.

والطاعات فى هذه الليلة قدر عظيم وثواب جزيل فضلاً من الله ورحمة، ولذلك كان فضل العبادة والطاعة فيها لتكون خيراً من مثلها من ألف شهر. وأكثر العلماء يقولون بأنها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان لذلك نجد المسلمون يحتفلون بها فى جميع أنحاء العالم، ومن مظاهر فضلها احتفال الملائكة بها حيث تنزل كوكبة من الملائكة تحت قيادة جبريل فينتشرون بين المسلمين يبلغونهم تحية الله سبحانه وسلامه ويبشرونهم بالخير والبركة والأمن والسلام فى هذه الليلة من غروب الشمس حتى مطلع الفجر، ويقول الإمام الرازى فإذا اطلع الفجر فى ليلة القدر نادى جبريل يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون يا جبريل ما صنع الله بالمسلمين فى هذه الليلة فيقول لهم: لقد نظر الله

تعالى إليهم بالرحمة وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة نفر قالوا مَن هؤلاء الأربعة، قال مدمن الخمر، وعاق الوالدين، وقاطع الرحم والمشاحن، أى المخاصم الذى لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام.

١٥- اليوم واستحباب صوم ستة أيام من شوال:

١٢٥٤ : عن أبى أيوب ، رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: (من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر) رواه مسلم.

وذلك لأن ٣٦ يومًا أو ٣٥ يومًا وهى رمضان مع ستة أيام من شوال إذا ضربت فى عشرة صارت ٣٦٠ يوما، وذلك عدد أيام السنة الهجرية فى المتوسط، ويجوز صيام الأيام الستة مجتمعة عقب يوم العيد أو مفرقة فى شوال.

ومن فعل هذا أو ذلك فقد أصاب ثواب صيام السنة كلها ولا ضير إطلاقًا - وهذا يتفق مع قول الله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ والله أعلم(١)

١٦- اليوم واستحباب صوم الاثنين والخميس:

١٢٥٥ - عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: (ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت، أو أنزل على فيه) (رواه مسلم).

١٢٥٧ - وعن عائشة، رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله (ﷺ) يتحرى صوم الاثنين والخميس) رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

١٧- اليوم وفضل الصوم في العشر الأوائل من ذي الحجة:

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ [سورة : الفجر].

أما الفجر فمعروف وهو الصبح، والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة. وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعًا (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام) يعنى : أيام العشر، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ﴿ولا الجهاد فى سبيل الله إلارجلا خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء﴾ قال الإمام

(١) جريدة الجمهورية الصادرة فى ١٩٩٤/٣/١٨

أحمد حدثنا زيد بن الحباب... عن النبى (ﷺ) قال: (إن العشر عشر الأضحى، الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة).

١٨ـ اليوم ويوم الحج الأكبر:

﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ... ﴿٩٧﴾ ﴾ الآية [سورة: آل عمران].

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، ومن شروطه أن يكون الحاج مسلمًا وبالغًا وعاقلاً وحرًا ولديه الاستطاعة المالية، ولا يعفى منه العاجز الغنى.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ... ﴿١٩٧﴾ ﴾الآية [سورة :البقرة].

فى أشهر الحج (شوال، ذو القعدة، ذو الحجة(العشرة الأيام الأولى من ذى الحجة) فلا مباشرة للنساء، ولا فحش فى الكلام، ولا خروج عن حدود الشريعة ولا خصام مع الرفقاء.

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ... ﴿٣﴾ ﴾ الآية [سورة: التوبة].

(وأذان من الله ورسوله) أى إعلام، وهو فعال بمعنى الأفعال (يوم الحج الأكبر) أى يوم العيد، لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله، ولأن الإعلام كان فيه وقيل يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة. وسمى ذلك بالحج الأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر (برئ من المشركين) أى من عهودهم.

١٩ـ اليوم والأيام المنهي عن صيامها:

هناك صيام منهى عنه وله صور متعددة منها:

– صيام يومى العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى سواء أكان الصوم فرضًا أم تطوعًا هذين اليومين.

- نهى النبى (ﷺ) عن صيام أيام التشريق وهى أيام (١١ ، ١٢ ، ١٣) من ذى الحجة.
- يكره صيام يوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان ولم يكن الهلال قد شوهد فى التاسع والعشرين.
- يكره إفراد يوم الجمعة أو يوم السبت بالصيام وينصب ذلك على من كان متطوعًا أما صيامهما قضاءأو نذرًا أو لموافقة عادة أو كان أحدهما يوم عرفة أو يوم عاشوراء فلا كراهة فى إفراد صيام أحدهما.
- نهى الرسول (ﷺ) عن صيام السنة كلها لأن ذلك يؤدى إلى الضعف وإلى عدم القدرة على أداءالواجب نحو نفسه وغيره.
- نهى الرسول (ﷺ) المرأة عن أن تصوم تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه قال (ﷺ): «لا تصوم المرأة يومًا واحدًا وزوجها حاضر شاهد إلا بإذنه إلا رمضان»- رواه البخارى ومسلم.

٢٠- اليوم وذكر ا لله في أيام معدودات:

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾ [سورة: البقرة].

قال ابن عباس: الأيام المعدودات أيام التشريق والأيام المعلومات أيام العشر. وقال عكرمة (واذكروا الله فى أيام معدودات) يعنى التكبير فى أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات الله أكبر الله أكبر وقال الإمام أحمد قال: قال رسول الله (ﷺ) (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب وذكر الله). وعن ابن عباس: الأيام المعدودات أيام التشريق أربعة أيام يوم النحر وثلاثة بعده. ومن استعجل النفر (التفرق) فى يومين ومن ينتظر إلى ثالث أيام التشريق فلا إثم عليه إذا اتقى وقصد وجه ربه.

٢١- اليوم ومن يعمر مساجد الله:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾ [سورة: التوبة].

فشهد الله تعالى بالإيمان لعمار المساجد كما قال الإمام أحمد وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ﷺ) قال (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) وعن أنس ابن مالك قال قال رسول الله (ﷺ) (إنما عمار المساجد هم أهل الله) وقوله (وأقام الصلاة) أى التى هى أكبر عبادات البدن.

(وآتى الزكاة) أى التى هى أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله (ولم يخش إلا الله) أى ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه. وقوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) يعنى أولئك هم المفلحون. وكل عسى فى القرآن فهى واجبة.

٢٢- اليوم والنزاع في شيئ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) ﴾ [سورة: النساء].

وعن ابن عباس (وأولى الأمر منكم) يعنى أهل الفقه والدين، وتفسير آخر يعنى العلماء. وقال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وفى الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبى هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه قال (من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصانى) فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى ﴿ أطيعوا الله ﴾ أى اتبعوا كتابه ﴿ وأطيعوا الرسول ﴾ أى خذوا بسنته ﴿ وأولي الأمر منكم ﴾ أى فيما أمروكم به من طاعة الله لا فى معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الله. وأن كل شئ تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع فى ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله﴾ فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق. ولهذا قال تعالى ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ أى ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم وقوله ﴿ ذلك خير ﴾ أى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وقوله ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ أى وأحسن عاقبة.

٢٣- اليوم ومدة الحالف علي زوجته بعدم المباشرة

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) ﴾ [سورة : البقرة]

(يؤلون) يحلفون- (تربص) أى صبر وانتظار (فاءوا) رجعوا. على الذين يحلفون أن لا يباشروا نساءهم أن يصبروا أربعة أشهر، فإن رجعوا فى أثنائها أو بعدها إليهن غفر الله لهم تلك الزلة.

٢٤- اليوم ومدة المرأة المطلقة

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾ [سورة : البقرة].

(قروء) جمع قرء و هو الطهر من الحيض. والمطلقات يصبرن على الزواج ثلاث حيضات فإذا أحسسن بحمل فلا يحل لهن كتمانه وأزواجهن أحق بردهن فى زمن الانتظار إن شاءوا إصلاحًا لا إضرارا بالمرأة. وللنساء على الرجال حقوق يجب أن تحترم كما عليهن حقوق للرجال كذلك، ولكن الرجال زيادة فى الحق فى مقابل تكلفهم رعايتهن والإنفاق عليهن.

٢٥- اليوم ومدة رضاعة الأولاد

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ (٢٣٣) ﴾ [سورة : البقرة]

هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهى سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال لمن أراد أن يتم الرضاعة وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا من كان دون الحولين فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم.

وعن أبى عباس قال قال رسول الله (ﷺ): لا يحرم من الرضاع إلا من كان فى الحولين، وما كان بعد الحولين فليس بشئ) وتمام الدلالة من هذا الحديث فى قوله تعالى ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾، وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع واحد وعشرون شهراً وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً وإذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين.

٢٦- اليوم ومدة زواج الأرملة بعد وفاة الزوج.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾

[سورة :البقرة].

وللذين يموتون ويتركون أزواجًا فإذا أردن أن يتزوجن بعد أزواجهن فلينتظرن أربعة أشهر وعشرة أيام، وفإذا انقضت هذه المدة فلا إثم عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف أى فيما يفعلنه من التزين والتعرض للخطاب بالمعروف أى بما لا ينكره الشرع.

١٧٧٤- وعن زينب بنت أبى سلمة رضى الله عنهما قالت سمعت رسول الله (ﷺ) يقول على المنبر (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) متفق عليه.

٢٧- اليوم وكفارة الحلف الكاذب

﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾ [سورة: المائدة].

الله لا يؤاخذكم على الأيمان المستعملة فى اللغة وجرى عليها اللسان مثل لا والله وبلى والله إلخ، وإنما يؤاخذكم على الأيمان المقصودة فى الأمور المعينة، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم الإنسان أهله أو كسوتهم أو عتق رقبة فمن لم يجد

هذا فليصم ثلاثة أيام. ذلك كفارة أيمانكم إذا نقضتموها واحفظوا أيمانكم لا تبذلوها جزافا، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون.

٢٨ـ اليوم والأيام الخمسة (١)

أيام المرء لا تخلو عن: يوم مفقود،ويوم مشهود، ويوم مورود، ويوم موعود، ويوم ممدود.

فالمفقود: يومك الذى فاتك مع ما فرطت فيه.

والمشهود: يومك الذى أنت فيه فتزود فيه من الطاعات.

والمورود: هو غدك لا تدرى هل هو من أيامك أم لا فرب مستقبل يوم غير مستكملة ورب منتظر غير وهو ليس من أجله.

والموعود: هو آخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينيك.

والممدود: هو يوم الدين، يوم الحساب وهو يوم لا انقضاء له فاهتم له غاية اهتمامك،فإنه إما نعيم دائم أو عذاب مخلد.

ومن وصايا الرسول الكريم (ﷺ) لهذا اليوم قوله لأبى ذر (رضى الله عنه): «جدد السفينة فإن البحر عميق وخط الزاد كاملاً فإن السفر طويل وخفف الحمل فإن العقبة كئود وأخلص العمل فإن الناقد بصير».

٢٩ـ اليوم وأحزان الماضي(٢)

المعروف أن الآية الكريمة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [سورة: الرحمن] وآية أخرى تقول ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ – ومعنى ذلك أن كل الكائنات معرضة للموت فى أية لحظة والناس ضمن هذه الكائنات وهذا حق.

فعند وفاة أحد أفراد الأسرة وخاصة إن كان صالحًا ، فلا شك أن الحزن يشمل أفراد الأسرة صغيرها قبل كبيرها. والحزن هنا ليس مؤقتًا بل هو دائم حتى يتكيف مع الوضع

---

(١) جريدة الجمهورية: ٥ مارس ١٩٩٣ .

(٢) المؤلف: عبدالغنى عبدالرحمن محمد.

الجديد وبذلك يزول تدريجياً. فلماذا هذا الحزن؟ لأن الإنسان بطبيعته اجتماعي فلابد وأن يحزن. وأخص بالذكر بعد وفاة الزوج الصالح أو الزوجة الصالحة. وبهذا ينشأ الحزن العميق لأنها كانت توفر أسباب الراحة ولوازم المعيشة وتزيل عناء الحياة عن الزوج الأرمل والعكس يكون الحزن خفيف الألم بالنسبة للزوجة الأرملة لأنها معتادة لعمل متطلبات الحياة المنزلية.

فالحزن هنا درجات كل حسب مكانة الإنسان ووضعه فى الأسرة ودرجة صلته بالأسرة، فالإنسان الذى يتمتع بهدى الله واتباع أوامره ونواهيه يصعب فراقه والألم يطول، ومن الصعب إحلال غيره طبقاً لنوع العشرة وحسن المعاملة، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [سورة: البقرة]. (ولنبلونكم) أى نمتحنكم.

هذا ويعرض القرآن الكريم كثيراً من الصور وخاصة عند فقدان يوسف وحزن أبيه عليه،وفقدان موسى وحزن أمه عليه. ويمكن أن تكون الوفاة رحمة للميت وأهله إذا كان مريضاً وطريح الفراش، ويمكن أن يكون امتحانا للميت عندما كان على قيد الحياة وأيضاً اختبارا لأهل الميت حسب ما كتبه الله له حيث يقول ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ [سورة: العنكبوت] ومعنى هذا: أخيل للناس أن نتركهم بمجرد قولهم آمنا من قبل أن نمتحنهم لنعلم ما هوعليه من أحوالهم النفسية؟ ولقد امتحنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وثبتوا وليعلمن الكاذبين الذين يقولون آمنا وهم كاذبون.

وعلاج هذا الموقف أولاً الإيمان بالله الواحد الدايم والإيمان والرضا بالقدر المكتوب خيره وشره، والدعاء المستمر لله بكشف الهم والغم والحزن بيده الخير إنه على كل شئ قدير. ثانيًا ذكر الله المستمر وقراءة القرآن الكريم لأنه شفاء للقلوب وما فى الصدور وصرف الآلام النفسية.

فهيا بنا نترك أحزاننا ونعيش في حاضرنا بحب وخير وجمال حيث يقول تعالى ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة : الحديد]

أى لا تحزنوا على مافاتكم من نعيم الدنيا ولا تفرحوا بما أعطاكم منها. كما أن الدعاءالمستمر للميت بالرحمة والغفران شيء هام جداً له حيث يقول تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة : الحشر] .

٩٤٩- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) .

هيا بنا نتطلع إلى المستقبل ونعمل لآخرتنا حيث يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة :الحشر]

يا أيها المؤمنون خافوا الله ولتنظر نفس ماذا قدمت ليوم القيامة .

٣٠- اليوم والإيمان بالخمس

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [سورة : البقرة] .

فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله تعالى بيان حكمته فى ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه واتباع ما شرع فهذا هوالبر والتقوى والإيمان الكامل وليس فى لزوم التوجه إلى جهة من المشرق والمغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، وعن ابن عباس فى هذه الآية: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة ونزلت الفرائض والحدود فأمر الله بالفرائض والعمل بها. وتصف هذه الآية أنواع البر كلها وهى الإيمان بالله وأنه لا

إله إلا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله (والكتاب) وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذى انتهى إليه كل خير ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله وآمن بأنبياء الله كلهم عن أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

٣١ـ اليوم والذين يكنزون الذهب والفضة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [سورة :التوبة]

أما الكنز فهو المال الذى لا تؤدى زكاته،وقال عمر بن الخطاب نحوه أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا فى الأرض. وعن الإمام أحمد أن رسول الله (ﷺ) قال (تبًا للذهب والفضة) وحدثنى صاحبى أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله قولك (تبًا للذهب والفضة) ماذا ندخر؟ قال رسول الله (ﷺ) (لسانًا ذاكرًا وقلبًا شاكرًا وزوجة تعين على الآخرة)وقوله تعالى (يوم يحمى عليها فى نار جهنم ...) إلى آخرة الآية. وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهدًا فى عداوة رسول لله (ﷺ) وامرأته تعينه فى ذلك كانت يوم القيامة عونا على عذابه أيضًا فى جيدها أى عنقها حبل من مسد أى تجمع من الحطب فى النار وتلقى عليه ليكون ذلك أبلغ فى عذابه فمن هو أشفق عليه فى الدنيا كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم فى الدار الآخرة فيحمى عليها فى نار جهنم وناهيك بحرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

٣٢ـ اليوم وإيمان الأديان الأخري بالله وكتبه ورسله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾ [سورة : البقرة].

نزلت هذه الآية فى أصحاب سلمان الفارسي وهو يحدث النبي (ﷺ) إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال كانوا يصلون ويصوموا ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبياً فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله (ﷺ) (يا سلمان من هم أهل النار) فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً وإيمان النصارى أن تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد (ﷺ) فمن لم يتبع محمداً (ﷺ) منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكاً. وأنزل الله بعد ذلك ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ قال ابن عباس أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عمل إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد (ﷺ) بعد أن بعثه به.

فاليهود اتباع موسى عليه السلام والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة فى زمانهم. واليهود من الهوادة وهى المودة أو التهود وهى التوبة كقول موسى عليه السلام (إنا هدنا إليك) أى تبنا لله. وقيل لنسبهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب.

فلما بعث عيسى عليه السلام وجب على بنى إسرائيل اتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى وسموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار أيضاً كما قال عيسى عليه السلام (من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) وقيل إنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها ناصرة.

أما الصابئون فهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين. رواه ابن أبى نجيح. ورأى آخر يقال إن الصابئين فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور ولهذا قال أبو حنيفة لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم. ورأى آخر أيضاً يقال إن الصابئين قوم مما يلى العراق وهم بكوثى وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً ويصلون كل يوم خمس صلوات وقيل هم عباد الملائكة وقيل عبدة الكواكب. ومعنى هذه الآية أن من كان من أهل هذه الأديان معتقداً بالله وكتبه ورسله، ومنهم محمد ﷺ، وموقناً بالآخرة، وعاملاً بما أمر به من الصالحات. فهو من الناجين.

٣٣ـ اليوم واستمرار العداوة والبغضاء بين اليهود حتي يوم القيامة

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﴾ [سورة: المائدة].

زعم اليهود أن يد الله مقيدة، أى أنه ممسك يقتر فى الرزق. قيدت أيديهم ولعنوا بما زعموا، بل يداه مفتوحتان ينفق كيف يشاء. وإن ما أنزل إليك من هذا القرآن ليزيدن كثيراً منهم طغياناً وكفراً. وألقينا بينهم العداوة والبغضاء أى الكراهة إلى يوم القيامة. كلما أرادوا إشعال حرب على رسول الله أطفأها الله، ويسعون فى الأرض الفساد بإثارة الحروب وإيقاظ الفتن النائمة والله لا يحب المفسدين (مغلولة) أى مقبوضة عن العطاء بخلاً.

٣٤ـ اليوم وعذاب اليهود إلى يوم القيامة

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) ﴾ [سورة: الأعراف].

(تأذن) تفعل من الأذان أى أعلم قال مجاهد وقال غيره أمر، وفى قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة ولهذا اتبعت باللام فى قوله «ليبعثن عليهم» أى على اليهود «إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب» أى بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم، ويقال إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج ثم كانوا فى قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج ثم جاء الإسلام ومحمد (ﷺ) فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية. وقال على بن أبى طلحة عنه والذى يسومهم سوء العذاب محمد رسول الله (ﷺ) وأمته إلى يوم القيامة. وقوله (إن ربك لسريع العقاب) أى لمن عصاه وخالف شرعه (وإنه لغفور رحيم) أى لمن تاب إليه وأناب وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة لئلا يحصل اليأس فيقرن تعالى بين الترغيب والترهيب كثيراً لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف.

٣٥ـ اليوم واستمرار العداوة والبغضاء بين النصاري حتي يوم القيامة

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة :المائدة] .

﴿ ومن الذين قالوا إنا نصاري أخذنا ميثاقهم ﴾ أى ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام وليسوا كذلك أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول (ﷺ) ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره وعلى الإيمان بكل نبى يرسله الله إلى أهل الأرض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال تعالى (فنسوا خطاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أى فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً ولايزالون كذلك إلى قيام الساعة ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا فكل فرقة تحرم الأخرى . فالملكية تكفر اليعقوبية وكذلك الآخرون وكذلك النسطورية والآريوسية كل طائفة تكفر الأخرى فى هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ثم قال (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله ورسوله وما نسبوه إلى الرب عز وجل وتعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا من جعلهم له صاحبة وولداً تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلدولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

٣٦ـ اليوم والإنفاق من رزق الله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [سورة : البقرة] .

يأمر تعالى بالإنفاق مما رزقهم فى سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم وليبادروا إلى ذلك فى هذه الحياة الدنيا (من قبل أن يأتى يوم) يعنى يوم القيامة (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة)أى لا يباع أحد من نفسه ولا يفادى بمال لو بذله لو جاء بملء الأرض ذهباً ولا تنفعه خلة أحد يعنى صداقته بل ولا نسابته كما قال (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ولا شفاعة: أى ولا تنفعهم شفاعة الشافعين. والكافرون أى مانعو الزكاة هم الظالمون لأنفسهم.

٣٧- اليوم والإنفاق بالليل والنهار:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) ﴾ [سورة: البقرة]

هذا مدح منه تعالى للمنفقين فى سبيله وابتغاء مرضاته فى جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهار حتى أن النفقة على الأهل تدخل فى ذلك أيضًا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال لسعد بن أبى وقاص حين عاده مريضًا عام الفتح، وفى رواية عام حجة الوداع (وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة) وعن أبى مسعود (رضى الله عنه) عن النبى (ﷺ) أنه قال (إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة) أخرجاه من حديث شعبة به..

٣٨- اليوم وتداوله بين الناس

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) ﴾ [سورة: آل عمران].

ويصرف الله الأيام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين أحيانًا وتشديدها عليهم أحيانًا لا بنصرة الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصرة تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين.

إنما جعل الله الدنيا متقلبة لكيلا يطمئن المسلم إليها ولتقل رغبته فيها أو حرصه عليها إذا تكفى لذاتها ويعطهن مقيمهاويسعى للآخرة التى يدوم نعيمها وإنما جعل الدولة مرة للمؤمنين ومرة عليهم ليدخل الناس فى الإيمان على الوجه الذى يحب الدخول فيه وهو قيام الحجة فلو كانت الدولة أبدًا للمؤمنين لكان الناس يدخلون فى الإيمان.

وتلك الأيام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيرهم، وليعلم الله الذين آمنوا بمايظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحالة.

٣٩- اليوم وتقوي الله

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [سورة: البقرة]

واحذروا يومًا سترجعون فيه إلى ربكم فتوفى كل نفس حسابها وأنتم لا تظلمون. وعن ابن عباس قال: آخر آية نزلت فكان بين نزولها وموت النبى (ﷺ) واحد وثلاثون يومًا، وعن ابن جريج يقولون إن النبى (ﷺ) عاش بعدها تسع ليال وبدئ يوم السبت ومات يوم الاثنين.(١) وآية آخرى تقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)﴾ [سورة: لقمان].

يقول تعالى منذرًا للناس يوم المعاد وآمرا لهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث (لا يجزئ والد عن ولده) أى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله (فلا تغرنكم الحياةالدنيا) أى لا تلهيكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان: قال ابن عباس.. فإنه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شئ بل كان كما قال الله تعالى (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)(٢).

٤٠ـ اليوم وأوقات الصلوات الخمس

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (١٠٣)﴾ [سورة :النساء]

(كانت على المؤمنين كتابًا) أى كتبت عليهم كتابة و (موقوتا) أى فرضًا محدود الأوقات لا يجوز إخراجه عن وقته فى شئ من الأحوال. ومن المعروف أن الملاك جبريل عليه السلام نزل من عند ربه وأن توزيع الصلوات الخمس جاء يشمل اليوم كله من مطلع الفجر إلى مغيب الشفق، بمعنى أنها فرضت على المؤمنين فى أوقات معينة.

فصلاة الصبح هو ما يبدأ به المسلم كفاحه اليومى هو حمد الله والتضرع إليه. فإذا ما انتصف النهار وأجهد الإنسان ما قام به من عمل ناداه الإسلام لصلاة الظهر، ليجدد نشاطه بالوضوء ويقف بين يدى خالقه يطلب المزيد من توفيقه ورعايته وبعد فترة العمل يعود المسلم إلى صلاة العصر فينتعش روحيًا وجسديًا، وعند الغروب يعود إلى الله تعالى بصلاة المغرب حين ينهى عمله بالشكر والاستغفار فإذا ماأرخى الليل سدوله يكون العبد فى حاجة إلى أن يلجأ إلى الله يستهديه ويستغفره ويجدد عهده معه بصلاة العشاء...

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم . جـ١. ص ٣٣٣ .
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٤٥٣ .

وهكذا يكون العبد فى لقاء دائم مع ربه عن طريق صلواته اليومية ويفيد المسلم بصلاته أيضاً جسمه، فأوقاتها أنسب الأوقات لتأدية بعض الحركات الجسدية التى تحفظ على الإنسان صحته وتعوض جسمه ما فقده فى أثناء العمل وتزيل ما به من آثار الإرهاق، وتجدد دورته الدموية.(١)

٤١ـ اليوم وما قدروا الله حق قدره:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾ [سورة : الزمر].

(ما قدروا الله حق قدره) أى ما قدروا عظمته حق تعظيمها إذ جعلوا له شركاء. (والأرض جميعاً قبضته) والأرض جميعاً مقبوض عليها فى يده.وما قدر هؤلاء المشركون الله تعالى حق تقديره إذ تخيلوا له شركاء، والأرض ومن عليها مقبوضة فى يده، والسماوات على أبعادها غير المتناهية مطويات فى يمينه، فتنزيهاً له عما يشركون.

٤٢ـ اليوم و كل يوم هو في شأن:

﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) ﴾ [سورة :الرحمن] .

يسأله كل من فى السماوات والأرض حاجاتهم فإنه مفتقرون إليه. .كل وقت هو فى شأن جديد: يخلق أشخاصاً ويميت آخرين وينشئ أحوالاً ويزيل أخرى، فبأى نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان؟ أيها الإنس والجن أو المثقلان بالتكاليف.

وعن أبى نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيًا ويكشف كربًا ويجيب مضطرًا ويغفر ذنبًا؛ وقال قتادة لا يستغنى عنه أهل السماوات والأرض يحيي حيًا ويميت ميتًا ويربى صغيرًا ويفك أسيرًا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم . وعن ابن عباس: إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور، وعرضه مابين السماءوالأرض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق فى كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.

(١) عبدالغنى عبدالرحمن محمد: كيف تستثمر وقت فراغك.جـ١ ص٢١و٢٢ .

٤٣- اليوم واستحباب الخروج يوم الخميس أو النهار:

٩٥٦- عن كعب بن مالك، رضى الله عنه، أن النبى (ﷺ) خرج فى غزوة تبوك يوم الخميس. وكان يحب ألا يخرج يوم الخميس. متفق عليه.

وفى رواية فى (الصحيحين): لقلما كان رسول الله (ﷺ) يخرج إلا فى يوم الخميس.

٤٤- اليوم وأرذل العمر:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة :النحل].

يخبر تعالى عن تصرفه فى عباده وأنه هو الذى أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم وفيهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف فى الخلقة كما قال تعالى ﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ الآية، وقد روى عن على رضى الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وفى هذا السن يحصل له ضعف القوي والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئا﴾ أى بعد ما كان عالما أصبح لا يدرى شيئًا من الفند والخرف ولهذا روى عن البخارى عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو [أعوذ بك من البخل والكسل والهرم وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): [ما من عبد يعمر فى الآلام أربعين سنة إلا صرف الله منه أنواعًا من البلاء، الجنون والجذام والبرص: فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسد الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى أرضه وشفع فى أهل بيته](١).

٤٥- اليوم و صلاة يوم الجمعة:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة : الجمعة].

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: جـ٣ ص ٢٠٨ .

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التى خلق الله فيها السماوات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل فيها الله خيراً إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح.

وفى لفظ لمسلم (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله يوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة عن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق)

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة .ويقول تعالى: (فاسعوا إلى ذكر الله) أى اقصدوا واعملوا واهتموا فى سيركم إليها، وليس المراد بالسعى ههنا المشى السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وعن أبى هريرة عن النبى (ﷺ) قال: [إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) لفظ البخارى.

قال (ﷺ) [على كل رجل مسلم فى سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة] رواه أحمد والنسائى وابن حبان.

وقوله تعالى [وذروا البيع] أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع [أى اترك أى نشاط تقوم به] إذا نودى للصلاة. وقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون.وقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها. وقوله تعالى (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) أى أن لهم فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله.

وروى من بعض السلف أنه قال: من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة وقوله تعالى (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) أى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكراً كثيراً ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة.

٤٦- اليوم والتهجد بالليل و صلاة الفجر:

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)﴾ [سورة الإسراء]

ولا تنس صلاة الفجر، إن صلاة الفجر تشهدها الملائكة. ومن الليل فصل نافلة. أى صلاة زائدة عن الفريضة عسى أن يبعثك ربك منه موقفاً تحمده. (إلى غسق الليل) أى إلى ظلمته. وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة.

٤٧- اليوم والسلام علي يحيى عليه السلام:

﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾ [سورة : مريم].

أى له الأمان فى هذه الثلاثة الأحوال، وقال سفيان بن عيينة- أوحش ما يكون المرء فى ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيي بن زكريا فخصه بالسلام عليه.

٤٨- اليوم والسلام علي عيسي عليه السلام:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ [سورة : مريم]

إثبات من عيسى عليه السلام لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يحيى ويمات ويبعث كسائر الخلائق ولكن له السلامة فى هذه الأحوال التى هى أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه.

٤٩- اليوم وعقوبة الزنا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٣)﴾ [سورة : النور].

(فاجلدوا) أى فاضربوا. (المحصنات) أى العفيفات اللاتى أحصنهن الزواج.

الزانية والزانى فعاقبوهما بالجلد لكل مائة جلدة، ولا تأخذكم عليهما رحمة فى سبيل تأييد دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليحضر توقيع العقوبةعليهما جماعة من المؤمنين ليزدجروا (يمنعوا) بما يرون.

وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة ومسلم من حديث قتادة... قال قال رسول الله (ﷺ). (خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم).

٥٠- اليوم وتسبيح النبي يونس عليه السلام:

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ(١٤٦) ﴾ [سورة :الصافات].

إن يونس (ذا النون) بن متى عليه السلام لمن المرسلين بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهى قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبى لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ثم تضرعوا إلى الله تعالى وجأروا إليه فرفع الله عنهم العذاب قال تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين). وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم فى سفينة مملوءة بالأمتعة كما قال تعالى [إذ أبق إلى الفلك المشحون) (فساهم) أى قارع (فكان من المدحضين) أى المغلوبين وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبى الله يونس عليه السلام ثلاث مرات وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك، وأمر الله تعالى حوتًا من البحر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحمًا ولا يكسر له عظمًا فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. وقوله تعالى (فنادى فى

الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) والظلمات هى ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل.. ولما استقر يونس فى بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حى فقام فصلى فى بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجداً فى موضع لم يبلغه أحد من الناس. واختلفوا فى مقدار ما لبث فى بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقبل أربعين يوماً وقيل التقمة ضحى ولفظه عشية والله أعلم بمقدار ذلك. (فلولا أنه كان من المسبحين) يعنى المصلين. وقيل المراد (فلولا أنه كان من المسبحين) هو قوله تعالى ﴿فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) فأقبلت الدعوة تحن بالعرش، قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر قالوا العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل (بالعراء) وهى الأرض التى ليس بها نبت ولا بناء، قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم (وهو سقيم) أى ضعيف البدن- (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) أى شجرة القرع. وذكر بعضهم فى القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وأنه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره. فلولا أن يونس كان من الذاكرين الله كثيراً لبقى فى بطنه إلى يوم يبعثون.

٥١- اليوم وبعض الأدعية للوالدين وللمؤمنين:

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة : آل عمران].

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [سورة : آل عمران].

﴿ والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة : الشعراء].

﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة : الشعراء].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾ [سورة : إبراهيم] .

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾ [سورة : الحشر] .

–وقال النبى (ﷺ) من قال حين يصبح ثلاث مرات(أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [سورة الحشر] . **وكل الله بها سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسى وإن مات من ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة. (رواه أحمد والترمذى).**

٥٢ـ اليوم وعاش نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) ﴾ [سورة : العنكبوت] .

هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث فى قومه هذه المرة يدعوهم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ومع هذا مازادهم ذلك إلا فراراً عن الحق وإعراضًا عنه وتكذيبًا له وما آمن معه إلا قليل. وبعد هذه المدة الطويلة مانجح فيهم البلاغ والإنذار. فأنت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور.

وعن ابن عباس قال: بعث نوح وهو فى الأربعين سنة ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً عاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا.

٥٣ـ اليوم وجلود الأنعام:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) ﴾ [سورة النحل] .

(ظعنكم) أى ترحالكم. والله جعل لكم من بيوتكم مواضع تسكنون فيها وقت إقامتكم، وجعل لكم من جلود الأنعام قبابا تتخذونها لخفتها فى أسفاركم وفى إقامتكم أيضا، وتتخذون من أوبارها وأشعارها أثاثا يلبس ويفرش ومتاعا إلى حين.

٥٤- اليوم واليوم أكملت لكم دينكم...

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) ﴾ [سورة: المائدة].

هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبى غير نبيهم (ﷺ) ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الأنس والجن فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه وكل شئ أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف.

وعن عمر رضى الله عنه أن هذه الآية نزلت على رسول الله (ﷺ) فى يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد. (رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى).

٥٥- اليوم وعذاب يوم الظلة:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ [سورة الشعراء]

لقد أرسل الله النبى شعيب إلى قومه يأمرهم بأنهم يوفون الكيل ولا ينقصون الميزان، ويزنون بالميزان العادل، وقالوا له أنت مختل العقل وأسقط علينا قطعا من السماء إن كنت من الصادقين فأخذهم عذاب يوم الظلة يوم استظلوا من الحر المنبعث عليهم تحت سحابة فأمطرتهم نارا فأحرقتهم. (ويوم الظلة المراد به العذاب الذى سلطه عليهم وهو حر شديد أصابهم سبعة أيام وبعث لهم سحابة فاستظلوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم).

٥٦ـ اليوم وساعة الموت مالم تكن امنت وتابت من قبل:

﴿ .. يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا .. (١٥٨) ﴾ [سورة الأنعام].

عندما تأتى ساعة الاحتضار لا تنفع التوبة ولا تقبل لأن الإنسان إنتقل من مرحلة الإيمان بالغيب إلى مرحلة المشاهدة اليقينية.. ورأي يقيناً ما أنبأه الله تعالى غيباً. ولكنه لم يؤمن به.. ساعة الاحتضار تعرض على الإنسان حياته كلها ويعرف مصيره، ولذلك ترى وجوهًا مشرقة.. ووجوهًا عابسة متشنجة، فالذين بشروا بالنعيم تشرق وجوههم لأنهم ذاهبون إلى نعيم خير مما كانوا فيه وعاشوا فيه. أما الذين يرون العذاب ونار جهنم ويعرفون أنهم ذاهبون إلى شر كبير فإن وجوههم تتشنج وتكفهر وعلامات الفزع واضحة على وجوههم.

والمحتضر يحس ويرى من ملكوت الله مالا يحسه ولا يراه ممن هم حوله. فكأنه يعيش في هذا الملكوت ولا يعيش معهم.

فعندما تقبل على عالم الروح وبعد الموت تنتهى الحجب وتستطيع أن ترى مالم يمكن رؤيته من قبل. وأن لكل حياة قانونها الخاص بها[١].

٥٧ـ اليوم وحساب الموت

﴿ ... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الآية[لقمان / ٣٤]

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [سورة :الرحمن].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [سورة : آل عمران].

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) ﴾ [سورة : النساء].

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ [سورة :الجمعة].

---

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: يوم القيامة ص ص٥٠-٥١.

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾ [سورة : الأعراف] .

فالموت حق، وسيفه مسلط على عنق كل إنسان، فلا يترك الموت نبياً ولا تقياً، فقد نزل بجميع الأنبياء والمرسلين، ولا يخاف قويًا، فقد قصم ظهور الجبابرة والملوك والسلاطين..

إن الموت حق ولابد أن يلقي العبد بعد الموت إما نعيمًا مقيمًا في دار الكرامة، وإما العذاب الأليم في دار الجحيم ونعوذ بالله رب العالمين.

من أجل ذلك أوصانا نبينا (ﷺ) بذكر الموت بكثرة حتى يعمل الإنسان لما بعد الموت، فتكون له حسن العاقبة يوم يقوم الناس لرب العالمين حيث قال (أكثروا ذكر هادم اللذات الموت، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسّعه عليه، ولا يذكره في سعة إلا ضيقها عليه) رواه البيهقي وابن حبان عن أبي هريرة.

كما حث رسول الله (ﷺ) على الوصية المكتوبة قبل الموت، فقد قال (ما حق امرئ مسلم له شئ يريده أن يوصى به، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه) رواه البخاري ومسلم(١).

٥٨ـ اليوم والغل يوم القيامة:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾ [سورة : آل عمران] .

وما كان لنبي أن يخون في الغنائم. ومن يخن يأت بما أخذه يوم القيامة ثم نقضى على كل نفس جزاءها وهم لا يظلمون. نزلت هذه الآية لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض المنافقين لعل الرسول أخذها . فأنزل الله هذه الآية تنزيها للنبي (ﷺ) من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة وقسم الغنيمة وغير ذلك (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقد وردت السنة بالنهي عن ذلك في أحاديث متعددة. فقال الإمام أحمد .. عن النبي (ﷺ) قال (أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض تجدون الرجلين جارين في الأرض– أو في الدار– فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعًا فإذا قطعه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة..

---

(١) محمد على عبدالرحيم: الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية. ص ص ١–٤

٥٩ـ اليوم وزلزلة الساعة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ﴾ [سورة : الحج].

يقول تعالى آمراً عباده بتقواه ومخبرا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها- وأن هذه الزلزلة كائنة فى آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة أى قبل يوم القيامة. وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) [إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر. قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور؟ قال قرن قال فكيف هو؟ قال [قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله وبأمره فيمدها ويصولها ولا يفتر وهى التى يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق، فتسير الجبال فتكون ترابًا وترج الأرض بأهلها رجا فتكون الأرض كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الأمواج تكفؤها بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيمتد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهى التى يقول الله تعالى (يوم التناد تولون مدبرين مالكم من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد) فبينما هم على ذلك إذا نصدعت الأرض من قطر إلى قطر ثم نظروا إلى السماء فإذا هى كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله (ﷺ) [والأموات لا يعلمون بشئ من ذلك] قال أبو هريرة فمن استثنى الله حين يقول (ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) قال (أولئك الشهداء) وإنما يصل الفزع إلى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه.

٦٠- اليوم وإحياء النفس بعد موتها (عزير الرجل الصالح):

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ [سورة: البقرة].

(أو كالذى مر على قرية) اختلفوا فى هذا المار من هو؟ .. وعن على ابن أبى طالب أنه قال: عزير، ... وعن ابن جرير أنه: الخضر عليه السلام، .. وعن أبى حاتم يقول إن رجلاً من أهل الشام يقول إن الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه اسمه حزقيل بن بوار، وقال مجاهد بن جبير هو رجل من بنى إسرائيل وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها (وهى خاوية) أى ليس فيها أحد وقوله (على عروشها) أى ساقطة سقوفها وجدرانها، فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة وقال (إنى يحيى هذه الله بعد موتها؟) وذلك من شدة خرابها قال تعالى (فأماته الله مائة عام ثم بعثه) قال وعمرت البلدة بعد مضى سبعين سنة من موته وتكامل ساكنوها وتراجع بنو إسرائيل إليها فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول شئ أحيا الله فى عينيه لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيى بدنه فلما استقل سوياً قال الله له أى بواسطة الملك (كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم) (قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير فوجده كما تقدم لم يتغير منه شيء، لا العصير استحال، ولا التين حمض ولا أنتن ولا العنب نقص (وانظر إلى حمارك) أى كيف يحيه الله وأنت تنظر (ولنجعلك آية للناس) أى دليلاً على المعاد (وانظر إلى العظام كيف ننشزها) أى نرفعها فيركب بعضها على بعض أى نحييها (ثم نكسوها لحما) وقال السدى وغيره تفرقت عظام حماره حوله يميناً ويساراً فنظر إليها وهى تلوح عن بياضها فبعث الله ريحاً فجمعتها من كل موضع ثم ركب كل عظم فى موضعه حتى صار حماراً قائماً من عظام لا لحم عليها ثم كساها الله لحماً وعصباً وعروقا وجلداً وبعث الله ملكاً فنفخ فى منخرى الحمار فنهق بإذن الله وذلك

بمرأى من العزير فعند ذلك لما تبين له هذا كله (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) أى أنا عالم بهذا وقد رأيته عياناً فأنا أعلم أهل زمانى بذلك.

٦١- اليوم واقتراب الساعة وانشقاق القمر:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) ﴾ [سورة: القمر].

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) وعن أنس أن رسول الله (ﷺ) خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال (والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه. وما نرى من الشمس إلا يسيراً).

وعن أنس بن مالك قال سأل أهل مكة النبى (ﷺ) آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر).

٦٢- اليوم ويوم الخروج من القبور:

﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) ﴾ [سورة: ق].

(المنادى): هو إسرافيل أو جبرائيل ينادى الموتى بالقيام للبعث، وهذا يدل على أن النفخ فى الصور أى البوق كناية (من مكان قريب) أى بحيث يصل نداؤه إلى الكل على السواء. فيسمعون نداءه على السواء، ذلك يوم الخروج من القبور.

٦٣- اليوم وعودة الروح إلى الجسد وتشقق الأرض:

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) ﴾ [سورة: ق]

وذلك أن الله عز وجل ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها فى قبورها كما ينبت الحب فى الثرى (الأرض) بالماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور وقد أوعت الأرواح فى ثقب الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض فيقول الله عز وجل وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى الجسد الذى كانت تعمره فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم فى اللديغ وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر

الله عز وجل. وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) (أنا أول من تنشق عنه الأرض) وقوله عز وجل (ذلك حشر علينا يسير) أى تلك إعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر).

٦٤ـ اليوم ويوم السبت:

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) ﴾ [سورة: النحل].

لاشك أن الله تعالى شرع فى كل ملة يومًا من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذى أكمل الله فيه الخليقة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده، ويقال إن الله تعالى شرع ذلك لبنى إسرائيل على لسان موسى فعدلوا عنه واختاروا السبت لأنه اليوم الذى لم يخلق فيه الرب شيئًا من المخلوقات الذى كمل خلقها يوم الجمعة فألزمهم تعالى به فى شريعة التوراة ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه مع أمره إياهم بمتابعة محمد (ﷺ) إذا بعثه وأخذ مواثيقهم وعهودهم على ذلك ولهذا قال تعالى (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال مجاهد اتبعوه وتركوا الجمعة ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله عيسى ابن مريم فيقال إنه حولهم إلى يوم الأحد ويقال إنه لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم يزل محافظًا على السبت حتى رفع وإن النصارى بعده فى زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد مخالفة لليهود وتحولوا إلى الصلاة شرقًا عن الصخرة والله أعلم. قال رسول الله (ﷺ) (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمقضى بينهم قبل الخلائق) رواه مسلم.

٦٥ـ اليوم وميعاد قيام القيامة والخمس:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾ [سورة: لقمان]

هذه مفاتيح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب (لا يجليها لوقتها إلا هو) وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما فى الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن إذا أمر يكون ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غداً فى دنياها وأخراها وما تدرى (نفس بأى أرض تموت) فى بلدها أو غيره من أى بلاد الله كان لا علم لأحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى [وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو] (الآية) وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب.

٦٦ـ اليوم والإنذار بيوم القيامة:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة: غافر].

يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لاقترابها. وقوله تعالى: (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) قال قتادة: وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد، ومعنى (كاظمين) أى باكين، وقوله تعالى: (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير.

٦٧ـ اليوم والفرار من الأسرة:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة: عبس].

الصاخة هى الصيحة التى تصم الآذان لشدة من سمعها سميت بها القيامة، فإذا جاءت النفخة أو الصيحة المصمة للآذان، يوم يفر المرء من أعز إنسان عليه لاشتغاله بنفسه عن الفكر فى غيره.

٦٨ـ اليوم ونسيان يوم الحساب:

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة: الأعراف].

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة قائلين: صبوا علينا قليلاً من الماء أو النعم التى غمركم الله فيها. فأجابوهم قائلين إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وبما كانوا بآياتنا يكذبون.

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة: ص].

إن الذين يزيغون عن طريق الله لهم عذاب شديد بسبب نسيانهم يوم الحساب.

﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة: الجاثية].

وقيل للكافرين اليوم ننساكم ونهملكم كما نسيتم المصير إلى يومكم هذا (يوم الحساب) بعد أن بالغت الرسل فى تذكيركم به، ومحل إقامتكم اليوم النار ومالكم من ناصرين يدفعون عنكم عذابها.

٦٩ـ اليوم وخسف القمر وجمع الشمس

﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة: القيامة].

(يسأل أيان يوم القيامة) أى يقول الإنسان متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده. (فإذا برق البصر) أى لا يستقر لهم بصر على شئ من شدة الرعب. والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحاد وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور، وقوله تعالى (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه، وجمع الشمس والقمر فى الطلوع من المغرب.

٧٠- اليوم والتذكر يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) ﴾ [سورة :النازعات].

وفى آية آخرى:﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) ﴾ [سورة : الفجر].

فإذا جاء الداهية الكبرى وهى يوم القيامة- يوم يتذكر الإنسان ما عمل.

وبرزت جهنم للناظرين... يومئذ يتذكر الإنسان سوء أعماله ، وماذا تفيده الذكرى؟ يتمنى لو كان قدم لحياته أعمالاً صالحة.

٧١- اليوم وحالة السماء والجبال والأرض

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) ﴾ [سورة : المعارج].

يوم يحدث قريبا والسماء سوف تكون كالمهل المذاب فى مَهَل، وتصبح كالمعدنيات فى دردى الزيت أى عكره، (وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المصبوغ ألوانًا لأن الجبال مختلفة الألوان فإذا طيرت فى اكبره أشبهت العهن المنفوش. وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) ﴾ [سورة : المزمل]. يوم تضطرب الأرض وتزلزل الجبال وتصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماءثم أنها تنسف نسفًا فلا يبقى منها شئ إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا أى واديًا ولا أمتًا أى رابية ومعناها لا شئ ينخفض ولا شيء يرتفع.

٧٢- اليوم وشيب الولدان:

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) ﴾ [سورة : المزمل].

يخاطب الله أصحاب النعم والترف والكافرين. فكيف تدافعون عن أنفسكم إن كفرتم شر يوم تشيب لهوله الولدان وبمعنى أيضًا كيف تخافون أيها الناس يومًا يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به. كيف يجعل لكم أمانا من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم وهو يوم القيامة.

٧٣- اليوم والقسم بيوم القيامة:

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [سورة القيامة] .

والمقسم عليه ههنا إثبات المعاد والرد على ما يزمه الجهلة من العباد ومن عدم بعث الأجساد، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السماوات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة، يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا.

٧٤- اليوم وتبدل الأرض:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ [سورة إبراهيم] .

أى وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض وهى هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة كما جاء في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاءعفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد). وقال الإمام أحمد حدثنا ... عن عائشة أنها قالت أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية قالت قلت أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال (على الصراط) رواه مسلم منفردا به دون البخارى والترمذى وابن ماجة.

٧٥- اليوم وإتيان الله فردا:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝٩٥ ﴾ [سورة:مريم] .

فما فى السماوات والأرض من كائن إلا أتى الرحمن عبداً لقد حصرهم وأحاط بهم عدا بحيث لا يخرجون عن دائرة علمه ونطاق تصرفه. وعد أشخاصهم وأفعالهم وكل ما يختص بهم وجميعهم قادم عليه يوم القيامة منفرداً مجرداً من الأتباع والأعوان.

٧٦- اليوم وخشعت الأصوات للرحمن:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ۝١٠٨ ﴾ [سورة طه] .

(يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له) أى يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسارعين إلى الداعى حثيما أمروا بادروا إليه ولو كان هذا فى الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم. ويوم ينادى مناد فيتبع الناس الصوت يؤمونه. وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه– وقوله (وخشعت الأصوات للرحمن) يعنى وطء الأقدام وعن ابن عباس فلا تسمع إلا همساً الصوت الخفى، أما وطء الأقدام فالمراد سعى الناس إلى المحشر وهو مشيهم فى سكون وخضوع، وأما الكلام الخفى فقد يكون فى حال دون حال.

٧٧ـ اليوم وقدرة أهل الأرض عليها:

﴿ ... حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ الآية[سورة : يونس].

ولو أننا تدبرنا معنى الآية الكريمة.. لوجدنا أنه قبل يوم القيامة .. ستأخذ الأرض كامل زخرفها وزينتها.. وتكون فيها العمارات الشاهقة الحديثة.. والمدن الكبيرة.. وكل ما يزين الأرض للناس من زينة تحبب إليهم الحياة الدنيا وتريها لهم أبهى صورها وهذا لا يكون إلا بتقدم الحضارة بشكل يجعل الإنسان قادراً على أن يحقق الكثير.. فيسافر من دولة إلى أخرى فى وقت قصير ويستطيع أن يتحكم فى بيته.. بل وفى خارج بيته بالأزرار يدوس على زر فيأتيه الطعام.. ويضغط على زر آخر فينتقل من مكان إلى مكان بمنتهى السهولة. أى أن الحياة على الأرض ستكون قد بلغت قمة ما يسمونه التكنولوچيا التى تحقق للإنسان رفاهية الحياة.(١)

قوله تعالى (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) دليل على أن الناس سينسون الله جل جلاله وقدراته.. وأنه هو الذى خلق هذا الكون.. وأوجد قوانينه وكل ما فيه.. وينسبون هذا لأنفسهم فيعتقدون أن لهم القدرة على أن يفعلوا ما يريدون بهذه الأرض.. وأنها أصبحت خاضعة لإرادتهم وسلطانهم بالعلم الذى حققوه.. بينما الأرض وكل من فيها وما فيها خاضع لإرادة الله وقدرته وحده.. هو وحده الفعال لما يريد. وقوله تعالى (فجعلناهاحصيداً كأن لم تغن بالأمس) أى دمرنا كل ما عليها من زينة وزخرف..فإذا بها جرداً لا شئ عليها، وكل ما فعله الإنسان خلال قرون طويلة يتلاشى ويختفى وينتهى فى لحظات

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: يوم القيامة ص ص ٦٨ – ٧٠

ولكن متى يحدث ذلك؟ يقول رسول الله ﷺ: [إذا رأيت الناس أماتوا الصلاة.. وأضاعوا الأمانة.. وأكلوا الربا.. واستحلوا الكذب وباعوا الدين بالدنيا ويستخف الناس بالدماء.. فينتشر القتل والاغتيال.. وأن يكون فاسق القوم كبيرهم. والمفروض أن الكبير سنًا أو مقامًا هو الذى يحافظ على الخلق الكريم وأن ينقص الناس الكيل والميزان أى يسود المجتمع أكل حقوق الناس وأن تنتشر الخرافات.. فيصدق الناس التنجيم وقراءة الطالع.. وغير ذلك من أعمال الدجالين.

٧٨ـ اليوم وحرص اليهودى على الحياة:

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ [سورة: البقرة]

قل يا محمد لبنى إسرائيل: إن كانت الدار الآخرة- كما تقولون - لكم خاصة لا يشارككم فى نعيمها أحد فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن نعيم هذه الحياة لا يساوى شيئًا إذا قيس بنعيم الآخرة، ولكنهم لن يتمنوه أبدًا، بسبب ما اجترحه من الذنوب والله عليم بما كانوا يظلمون، ولترينهم أشد الناس حرصًا على الحياة، حتى المشركين أنفسهم. يرجو الواحد منهم أن يعيش ألف سنة وما يجديه طول حياته نفعًا فإنه لن يبعده عن العذاب والله بصير بما يعملون- هذه الآية نزلت ردًا على اليهود الذين قالوا لن يدخل الجنة إلا اليهود.

(أحرص الناس) من الحرص وهو الطلب بشره، (يعمر) أى يعيش طويلاً، عمر الله فلانًا أبقاه، وعمر المنزل جعله آهلا.

٧٩ـ اليوم والحكم بين اليهود والنصارى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) ﴾ [سورة: البقرة].

بين الله تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم. وعن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شئ وكفر بعيسى وبالإنجيل. وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شئ وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك من قولهما (الآية) قال إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به أن يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى وفي الإنجيل ماجاء به عيسى بتصديق موسى وما جاء من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه. (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) بين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوه به من القول. (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى أنه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد ويفصل بينهم بقضائه العدل الذى لا يجور فيه ولا يظلم مثقال ذرة.

٨٠- اليوم وكتمان ما أنزل الله من القرآن:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) ﴾

[سورة: البقرة].

يعنى اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ فى كتبهم التى بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فخشوا لعنهم الله إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم فكتموا ذلك على إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو نذر يسير فباعوا أنفسهم واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النذر اليسير فخابوا وخسروا فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه وجعله معه من الآيات الظاهرت والدلائل القاطعات فصدقه الذين كانوا يخافون أن يتبعوه وصاروا عونًا له على قتالهم وباءوا بغضب على غضب وذمهم الله فى كتابه فى غير موضع (ويشترون به ثمنًا قليلاً) وهو عرض الحياة الدنيا. (أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) أى إنما يأكلون ما يأكلونه فى مقابلة كتمان الحق نارًا تأجج فى بطونهم يوم القيامة. وفى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال (إن الذى يأكل أو يشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم).

وقوله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وذلك لأنه تعالى

غضبان عليهم لأنهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر إليهم ولا يزكيهم أى يثنى عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابا أليما. وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر).

٨١- اليوم وألف سنة للصعود إلى الله:

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ﴾ [سورة :السجدة].

(يعرج) يصعد

(ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة) أى يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية نازلة آثارها إلى الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر ويثبت فى علمه فى برهة من الزمان متطاولة، يريد بذلك بُعْد مَا بين التدبير ووقوع أثره، أى يدبره، ويحسب حسابه قبل وقوعه زمن طويل. وقيل يدبر الأمر من يوم خلق الأرض إلى قيام ساعتها، ثم يرجع إليه الأمر كله جملة فى يوم هو يوم القيامة طويل الأمد مقداره ألف سنة.

يدبر أمر الأرض من سماء جلاله من يوم وجودها إلى ساعة تلاشيها، ثم يصعد إليه الأمر كله ليحكم فيه فى يوم هو يوم القيامة مقداره ألف سنة مما تعدون.

٨٢- اليوم وكل أمة جاثية على ركبها:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) ﴾ [سورة : الجاثية].

يخبر الله تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما فى الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل (ويوم تقوم الساعة) أى يوم القيامة (يخسر المبطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات (وترى كل أمة جاثية) أى على ركبها من الشدة والعظمة ويقال إن هذا إذا جئ بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه حتى إبراهيم الخليل عليه السلام ويقول نفسى نفسى نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسى وحتى أن عيسى عليه السلام ليقول لا أسألك اليوم إلا نفسى لا

أسألك مريم التى ولدتنى (كل أمة تدعى إلى كتابها) يعنى كتاب أعمالها كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء) ولهذا قال سبحانه وتعالى (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى تجازون بأعمالكم خيرها وشرها.

٨٣- اليوم ومجادلة النفس عن نفسها يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾ [سورة: النحل]

يوم تجئ كل نفس تجادل عن نفسها وتسعى فى خلاصها. أى ليس أحد يحاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة. (وتوفى كل نفس ما عملت) أى من خير وشر (وهم لا يظلمون أى لا ينقص من ثواب الخير ولا يزادعلى ثواب الشر ولا يظلمون نقيراً.

٨٤- اليوم والأجر يوم القيامة:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ [سورة: آل عمران].

يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فهو تعالى وحده الذى لا يموت والجن والإنس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخراً كما كان أولاً وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التى قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت الرمة أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها قليلهاوكثيرها كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحداً مثقال ذرة.

وعن الإمام أحمد فى مسنده قال: قال رسول الله ﷺ (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه) وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة.

٨٥- اليوم وتكذيب الساعة (القيامة):

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) ﴾ [سورة : الفرقان] .

(بالساعة) أى بالقيامة (واعتدنا) أى وهيأنا من العتاد وهو الأداة (سعيرا) أى نار متأججة (وزفيرا) الزفير هو النفس الخارج من جوف الإنسان ضد الشهيق.

بل كذب هؤلاء بيوم القيامة، وقد هيأنا للذين يكذبون بها ناراً متأججة، إذا رأتهم من بعيد قادمين إليها سمعوا صوت تأججها كأنه صوت المغتاظ، وسمعوا لها نفساً يخرج من جوفها كأنه زفير الإنسان .وفي آية أخرى تقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٥) ﴾ [سورة : النمل] .

إن الذين لا يؤمنون بهذا اليوم قد حسن لهم أعمالهم السيئة فهم يضلون بها ولا يبصرون سوء مغباتها. أولئك الذين قضينا عليهم بسوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون أعمالاً.

٨٦- اليوم وحمل الخطايا والأثقال:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) ﴾ [سورة : العنكبوت] .

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى: ارجعوا من دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا (ولنحمل خطاياكم) أى وآثامكم إن كانت لكم آثام فى ذلك علينا. وأنهم يحملون عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد، قال الله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل عنه شيء ولو كان ذا قربى).

(وليحمل أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم) أخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزاراً أخرى بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً.

وفى الصحيح (من دعا إلى هدى كان له عن الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا) وقوله تعالى (وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أى يكذبون ويختلفون من البهتان.

٨٧ـ اليوم وإنشقاق السماوات ونزول الملائكة:

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) ﴾ [سورة : الفرقان].

يخبر الله تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذى يبهر الأبصار ونزول ملائكة السماوات يومئذ فيحيطون بالخلائق فى مقام المحشر ثم يجئ الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء . وعن ابن عباس رضى الله عنهما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد الجن والإنس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بهم، ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق، ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السماوات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السماوات وبالجن والإنس وجميع الخلق، كلهم وينزل ربنا عز وجل فى ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والإنس ثم يأتى ربنا فى حملة العرش الثمانية وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ما بين أخمص قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومابين كعبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبيه إلى حجزته مسيرة خمسمائة عام وما بين حجزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام ومابين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم محسه.

٨٨ـ اليوم والله لا يكلم هؤلاء الناس ولا ينظرهم إليهم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا

يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة :آل عمران].

يقول تعالى إن الذين يبيعون عما عاهدوا الله عليه من أتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره وعن إيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة وهى عروض هذه الحياة الدنيا الفانية الزائلة (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة) أى لا نصيب لهم فيها ولاحظ لهم منها (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم الآخرة) أى لا نصيب لهم فيها يعنى لا يكلمهم الله كلام لطف بهم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة (ولا يزكيهم) أى من الذنوب والأدناس بل يأمربهم إلى النار. وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة.

- قال الإمام أحمد ... قال: قال رسول الله ﷺ (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده، ورجل حلف على سلعة بعد العصر يعنى كاذباً، ورجل بايع إماماً فإن أعطاه وفى وإن لم يعطه لم يف له) (رواه الترمذى).

٨٩- اليوم ويوم الزينة:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة : طه]

يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أرآه الآية الكبرى وهى إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولى به على الناس فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك فإن عندنا سحرا مثل سحرك فلا يغرنك ما أنت فيه فاجعل بينك وبيننا موعدا أى يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر فى مكان معين فعند ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم ونيروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الأنبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال (وأن يحشر الناس) أى جميعهم (ضحي) أى ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح. وقال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء.

٩٠- اليوم والتعارف بين الناس:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥)﴾ [سورة: يونس].

ويوم يحشرهم إلى يوم القيامة يستقصرون مدة لبثهم أى معيشتهم فى الدنيا حتى يخيل لهم أنها لم تزد على ساعة من نهار يعرف فيها بعضهم بعضا.

لقد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين.

٩١- اليوم وطى السماء:

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ [سورة: الأنبياء].

واذكر يوم نطوى السماء كطى الدفتر على ما جواه من الكتب لعدم الفائدة من وجودها بعد فناء بنى آدم وانتقالهم للآخرة وقد كانت خاصة بهم، كما بد أنا أول خلق من العدم نعيده إلى العدم أيضاً إنا كنا فاعلين.

٩٢- اليوم واقرأ كتابك:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [سورة: الإسراء].

(وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) وطائره هو ماطار عنه من عمله من خير وشر ويلزمه به ويجازى عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرايره) وقال تعالي: (عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) وقال (إنما تجزون ما كنتم تعملون). وقال (من يعمل سوءاً يجز به) والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلاً ونهاراً صباحًا ومساء. وقوله (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا) أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيداً أو بشماله إن كان شقيًا منشورا أى مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر. بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولو

ألقى معاذيره) ولهذا قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك عليك حسيبا) أى أنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئًا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي. وقوله (ألزمناه طائره في عنقه) إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له في الجسد.

٩٣ـ اليوم ودين الإسلام في الآخرة:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾ [سورة: آل عمران].

فمن يطلب غير الإسلام. وهو على هذا الكمال دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الهالكين. أى من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين، كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

٩٤ـ اليوم والحلف أمام الله:

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) ﴾ [سورة: المجادلة]

أى يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ أى يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس فى الدنيا لأن من عاش على شئ مات عليه وبُعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون أنهم على شئ) أى حلفهم ذلك لربهم عز وجل. ثم قال منكراً عليهم حسبانهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب.

٩٥ـ اليوم والبخل يوم القيامة:

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾ [سورة: آل عمران].

أى لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه، بل هو مضرة عليه فى دينه، وربما كان فى دنياه، ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) أى سيلزمون به لزوم الطوق فى الأعناق. وقال رسول الله ﷺ (إن الذى لا يؤدى زكاة ماله يمثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان ثم يلزمه بطوقه يقول: أنا مالك أنا كنزك.) رواه النسائى وقوله تعالى (ولله ميراث السماوات والأرض) أى فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فإن الأمور كلها مرجعها إلى الله عز وجل: فقدموا من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم (والله بما تعملون خبير) أى بنياتكم وضمائركم.

٩٦- اليوم وأربعين سنة:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾ [سورة: المائدة].

قال تعالى مخبرًا عن موسى أنه قال يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أى المطهرة. وعن ابن عباس قال الأرض المقدسة هى الطور وما حوله أو هى أريحاء أرض بيت المقدس، وعن ابن جرير قال المراد بها هذه البلدة المعروفة فى طرف الطور شرقى بيت المقدس. وقوله تعالى (التى كتب الله لكم) أى التى وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل أنه وراثة من آمن منكم (ولا ترتدوا على أدباركم) أى ولا تنكصوا عن الجهاد. (قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها) أى اعتذروا بأن فى هذه البلدة التى أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قومًا جبارين أى ذوى خلق هائلة وقوى شديدة وإننا لا نقدر على مقاومتهم ولا يمكننا الدخول إليها ماداموا فيها فإن يخرجوا منها دخلناها. وعن ابن عباس قال أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين قال فسار موسى بمن معه حتى نزل قريبًا من المدينة وهى أريحاء فبعثه إليهم اثنى عشر عينًا من كل سبط منهم عين ليأتوه بخبر القوم قال فدخلوا المدينة فرأوا أمرًا عظيمًا من هيئتهم وجسمهم وعظمهم فدخلوا حائطًا لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجتنى الثمار من حائطه وهكذا حتى التقط الاثنى عشر كلهم وذهب بهم إلى ملكهم فنثرهم بين يديه، فقال لهم الملك قد رأيتم شأننا

فاذهبوا فأخبروا صاحبكم قال فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتالهم قالوا يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون (قال رجلان من الذين يخافون) أى ممن لهما مهابة وموضع من الناس ويقال إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا (أنعم الله عليهما) أى أنعم عليهما بالإيمان (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) أى إن توكلتم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم ودخلتم البلد التى كتبها الله لكم (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم وتخلف عن مقاتلة الأعداء . ويقال أنهم عزموا على الرجوع إلى مصر فسجد موسى وهارون عليهما السلام أمام ملأ من بنى إسرائيل إعظاماً لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ولاما قومهما على ذلك فيقال إنهم رجموهما. وقوله (قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) أى ليس أحد يطيعنى منهم فيمتثل أمر الله ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخى هارون. (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) يعنى افصل بينى وبينهم. وقوله تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض) الآية . لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم قدر مدة أربعين سنة فوقعوا فى التيه يسيرون دائماً لا يهتدون للخروج منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق كثيرة من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجارى من صخرة صماء تحمل معهم على دابة. فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجرى لكل شعب عينا وغير ذلك من المعجزات التى أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك نزلت التوراة وشرعت لهم الأحكام. وفى هذه الفترة كانت وفاة هارون عليه السلام ثم بعده بمدة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه السلام نبياً خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بنى إسرائيل هناك فى تلك المدة. فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أو بمن بقى منهم وبسائر بنى إسرائيل من الجيل الثانى فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر فلما دنت الشمس للغروب وخشى دخول السبت عليهم قال: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على. فحبسها الله تعالى حتى فتحها وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بنى إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجداً وهم يقولون حطة أى حط عنا ذنوبنا فبدلوا ما أمروا به ودخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون حبة فى شعرة. وقوله تعالى (فلا تأس على القوم الفاسقين) تسلية لموسى عليه السلام عنهم أى لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم به فإنهم مستحقون ذلك.

٩٧- اليوم وجهنم يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة : ق] .

يخبر تعالى أن يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت؟ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها أنه سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد: أى هل بقى شئ تزيدونى؟ هل هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل:

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (افتخرت الجنة والنار فقالت النار يا رب يدخلنى الجبارة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة أى رب يدخلنى الضعفاء أو الفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابى أصيب بك من أشاء وقال للجنة أنت رحمتى وسعت كل شئ ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى فى النار أهلها فتقول هل من مزيد، قال ويلقى فيها، تقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قدنى قدنى، وأما الجنة فيها ما شاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى خلقًا ما يشاء.

٩٨- اليوم وإمتحان الضمائر يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة : الطارق]

أى يوم القيامة وفيه تمتحن الضمائر ويميز بين ما طاب منها وخبث. وبمعنى أيضًا يوم تختبر الضمائر . وتفسير آخر أى يوم القيامة تبلى فيه السراير أى تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورًا.

٩٩- اليوم وتقلب القلوب والأبصار يوم القيامة:

﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة : النور] .

رجال لا يشغلهم عن ذكر الله وعن إقامة الصلاة المكتوبة فى أوقاتها وإيتاء الزكاة شاغل من الماديات يخافون يوم الحساب الذى تضطرب فيه القلوب والأبصار أى يوم القيامة الذى تقلب فيه القلوب والأبصار أى من شدة الفزع وعظمة الأهوال.

١٠٠ـ اليوم وزرقة عيون المجرمين يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة :طه] .

من رواية أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إنه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السماوات والأرض ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال (يتخافتون بينهم) يتساورون بينهم أى يقول بعضهم لبعض إن لبثتم إلا عشراً أى فى الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليلاً عشرة أيام أو نحوها وقال العاقل الكامل فيهم (إن لبثتم إلا يوماً) أى لقصر مدة الدنيا فى أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد. ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم فى ذلك درء قيام الحجة عليهم لقصر المدة.

١٠١ـ اليوم ونسيان آيات الله والعمي يوم القيامة:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [سورة : طه]

ما معنى الذى يحشر يوم القيامة أعمى. ومعنى أعمى أنه تحيط به ظلمات أعماله السيئة. فلا يرى شيئاً.. يمشى فيسقط ويتخبط يميناً ويساراً.. ويلاقى من العنت والعذاب ما يلاقيه الأعمى الذى لا يقوده أحد. ويتجه إلى الله سبحانه وتعالى ويسأل عن سر حشره أعمى فى الآخرة بينما كان بصيراً فى الدنيا.

إن الله سبحانه وتعالى يوضح له أنه أعطاه البصر فى الدنيا فلم يستفد منه فى شيء. كانت الآيات التى تملأ الكون أو الدنيا كلها أمامه مثل من شمس وأرض وكواكب ونجوم وبحار وأنهار وثمار وغير ذلك غير الآيات البشرية والحيوانية والنباتية وكلها تدل على أن الله وحده هو الخالق البديع ولا يستطيع أحد أن يخلق جناح بعوضة.

فإن هذا الكافر رفض أن يلتفت إلى آيات الله مع أن الله أعطاه البصر ليرى ولكنه لم ير شيئًا فكأنه هو والأعمى سواء بسواء. و صدق فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة : الإسراء].

١٠٢ـ اليوم وعذاب القبر:

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة : غافر].

الناس تتساءل عن عذاب القبر(١) هل يعذب الإنسان مرتين؟ مرة وهو فى قبره ومرة بعد الحساب ... أم أن العذاب يأتى بعد الحساب؟

الإجابة: إن مجرد رؤية الإنسان مقعده فى النار.. ومعرفته يقينًا مصيره إليها عذاب ليس بعده عذاب.. لأن ترقب البلاء وانتظاره أشد عذابًا من وقوعه.. مثلاً إذا عرفت أن ابنك سيقتل فى حادث سيارة بعد عام أو عامين.. فماذا يكون حالك؟ ستعيش فى جحيم هائل وأنت تنتظر يومًا بعد يوم وقوع الحادث. ولذلك فمن رحمة الله علينا أنه حجب عنا أحداث المستقبل.. حتى لا تصبح حياتنا عذابًا مستمرًا.. ونحن نتوقع المكروه الذى سيقع ونترقبه.

إن حجب المستقبل عنا أعطانا استمتاعًا بالحياة. وإنه يكفى عذابًا لأهل النار وهم فى قبورهم أن يروا الجحيم الذى سيخلدون فيه وأنهم كلما التفتوا يمينًا أو يسارًا رأوا النار التى سيعذبون فيها وعرفوا حتمًا أن أمر الله سبحانه وتعالى نافذ وواقع. أما العذاب فلا شك سيقع بعد الحساب أى بعد أن يحاسب الناس يوم القيامة. وأن عرضهم غدوا وعشيًا على النار عذاب لهم وإن لم يدخلوها.. ذلك أن مجرد رؤيتهم للنار تجعلهم يصرخون ويستغيثون من هول ما هو قادم وكذلك يصرخ فى قبره من يرى العذاب القادم لأنه يعرف ما هو ذاهب إليه.

(١) فضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى: يوم القيامة – ص ص ٦٢– ٦٤ .

أما عن الإنسان وساعة احتضاره تنتهى بشريته ومعنى أن بشريته تنتهى.. أنه خرج عن الاختيار إلى القهر، فأصبح مقهوراً فى كل شئ بعد أن كان مختاراً فى الدنيا، وأن الإنسان وهو يحتضر يرى مقعده من الجنة أو مقعده من النار- وتكون هذه الرؤيا إما بشرى تستريح لها نفسه وتنفرج أساريره.. وإما نذير يجعل وجهه ينقبض.. ويظهر عليه الخوف والفزع. وأنه فى البرزخ لا زمن وأن الناس فى قبورهم يرون مقاعدهم من الجنة.. أو من النار والعياذ بالله.. ولذلك قال رسول الله ﷺ: (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار).

١٠٣- اليوم وعدم قبول شفاعة الكفار:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) ﴾ [سورة: البقرة]

(واتقوا يوماً) أى احذروا يعنى يوم القيامة (لا تجزى نفس عن نفس شيئاً) أى لا يغنى أحد عن أحد - (ولا يقبل منها شفاعة) يعنى من الكافرين- (ولا يؤخذ منها عدل) أى لا يقبل منها فداء أى ولا بملء الأرض ذهباً- (ولا هم ينصرون) أى ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله.

١٠٤- اليوم والبعث على العمى والبكم والصمم:

﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ﴾ [سورة: الإسراء].

ومن يتوله الله بالهداية فهو المهتدى، ومن يقضى عليه بالضلال فلن تجد له من ينقذه منه، ونجمعهم يوم القيامة فيسحبون على وجوههم عمياً وخرساً وطرشاً، منزلهم جهنم كلما سكن لهبها زدناها توقداً، ذلك جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا.

١٠٥- اليوم وبعث الكافر على وجهه:

﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) ﴾ [سورة : الفرقان].

قال تعالى مخبراً عن سوء حال الكفار فى معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم فى أسوأ الحالات وأقبح الصفات. والكفرة الذين يحشرون يوم القيامة مقلوبين على وجوههم أسوأ مقامًا وأضل سبيلاً. وفى الصحيح عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال [إن الذى أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة].

١٠٦- اليوم وعذاب الكافر يوم القيامة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) ﴾ [سورة : المائدة].

إن الذين كفروا لو ملكوا كل ما فى الأرض من خيرات وأموال ومثله معه وقدموها فدية لهم من عذاب الله يوم القيامة ما قبل الله منهم ولهم عذاب أليم.

١٠٧- اليوم ولون وجه الكافر يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾ [سورة : آل عمران].

يوم تبيض وجوه الذين حسنت أعمالهم وتسود وجوه الذين ساءت سيرتهم، ويقال لهؤلاء أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم بأعمالهم الصالحة فيدخلون فى رحمة الله أى جنته خالدين فيها.

١٠٨ـ اليوم وشهادة السمع والبصر والجلد يوم القيامة:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣) ﴾ [سورة : فصلت] .

ويوم يجمع أعداء الله لإدخالهم النار فهم لكثرتهم يحبس أولهم على آخرهم كما يفعل بقطيع الغنم.. حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يقترفون من الاثام والمنكرات فى حياتهم الدنيا. وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا وأنتم منا وستألمون معنا؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ، وهو خلقكم ابتداء من لا شئ وإليه ترجعون للحساب. وما كنتم أيها الناس تتسترون عند ارتكاب الفواحش عن أعضائكم ظناً أنها لا تشهد عليكم، وتوهماً أن الله لا يعلم كثيراً مما تقترفون. ذلك الظن السيىء بربكم هو الذى أهلككم فأصبحتم خاسرين.

١٠٩ـ اليوم وعض الظالم على يديه للإعراض عن القرآن وتركه يوم القيامة:

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (١٠١) ﴾ [سورة :طه] .

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له من فرعون وجنوده، كذلك نقص عليك الأخبار الماضية كما وقعت. هذا وقد آتيناك من لدنا أى من عندنا ذكراً وهو القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذى لم يعط نبى من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد ﷺ كتاباً مثله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(من أعرض عنه) أى كذب به وأعرض عن اتباعه فإن اللهّ يضله ويهديه إلى سواء الجحيم ولهذا قال (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) أى إثما.

فمن خالف القرآن وأعرض عنه ضل وشقى فى الدنيا والنار موعده يوم القيامة. ولهذا قال (خالدين فيه) أى لا محيد لهم عنه ولا انفكاك (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس الحمل حملهم وآية أخرى تقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)﴾ [سورة: الفرقان].

يعنى يوم يعض الظالم فيه على يديه ندمًا وتحسرًا، ويقول ياليتنى اتخذت مع الرسول طريقًا لنجاتى. ياليتنى ما اتخذت فلانًا صاحبًا، فقد أضلنى عن ذكر الله بعد إذ جاءنى وطلب إلىّ، وكان كالشيطان أوحى إلى بالتمرد ثم خذلنى ولم ينفعنى. وقال الرسول يشكوهم إلى الله: يارب إن قومى جعلوا هذا القرآن متروكًا ولم يأبهوا به وصدوا الناس عنه.

١١٠- اليوم ووزن الأعمال:

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) ﴾ [سورة: الأعراف].

يومئذ توزن أعمالهم بالعدل، فمن رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم الفائزون، ومن خفت موازينه (وهى جمع موزون أو ميزان) فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون آياتنا فيكذبونها بدل أن يصدقوها. كما جاء فى قوله تعالى [ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين] أى نضع الموازين العادلة ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان ثقل حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين.

١١١ـ اليوم والقلب السليم:

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [سورة الشعراء].

جاءت هذه الآيات على لسان سيدنا إبراهيم ودعائه لله حيث يقول ولا تخزنى يوم يبعثون الأحياء ليحاسبوا ماقدموا وأخروا . يوم يبعث الناس للحياة لا ينفعهم مال ولا أولاد إلا من أتى الله بقلب سليم من شوائب الكفر، أى قلب سليم أى سالم من الشرك، ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبرؤ من الشرك وأهله.

وعموماً فإن أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح لأن المستند الذى يقدمه الفرد يوم القيامة هو قلبه (١).

١١٢ـ اليوم والوعد الحق والكفرة:

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) ﴾ [سورة الأنبياء].

واقترب يوم القيامة فإذا أبصار الذين كفروا ناظرة لاتطرف من الحيرة، والذين كفروا يقولون يا ولينا قد كنا فى غفلة عن هذا، بل كنا ظالمين. (الوعد الحق) هو القيامة.

١١٣ـ اليوم والبصر الحديد:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) ﴾ [سورة: ق].

(ونفخ فى الصور) الصور : البوق. قيل إن إسرافيل ينفخ يوم القيامة فى بوق فيموت كل حى ثم ينفخ فيه أخرى فيحيون للبعث. ونظن نحن أن النفخ فى البوق كناية عن مجئ موعد الإماتة والإحياء. (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوق الإنسان والآخر يشهد عليه. وقيل إن السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات. (البصر حديد) البصر الحادالنافذ.

(١) د. يوسف القرضاوى: الأستاذ بجامعة الأزهر. الأهرام فى ١٩٩٤/٨/٥.

١١٤- اليوم وحشر الطيور والوحوش يوم القيامة

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم إلي ربهم يحشرون (٣٨) ﴾ [سورة : الأنعام].

﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) ﴾ [سورة : التكوير].

قال مجاهد: (أى أصناف مصنفة تعرف بأسمائها. وقال قتادة الطير أمة والإنس أمة والجن أمة وقال السدى (إلا أمم أمثالكم) أى خلق أمثالكم. وقوله (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) أى الجميع علمهم عند الله ولا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان برياً أو بحرياً، وعن أبى هريرة فى قوله (إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شي ثم إلي ربهم يحشرون) قال يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماد من القرناء (حيوانان ينتطحان) أمام الرسول ﷺ(١).

﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ أى جمعت، وقال حشر البهائم ثم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة.

١١٥- اليوم وزمن الحشر يوم القيامة:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(٤٥)﴾ [سورة: يونس].

يقول تعالى مذكراً للناس قيام الساعة وحشرهم من أجداثهم إلى عرصات القيامة (ويوم يحشرهم) الآية، وكقوله ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ وقال تعالى (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا. يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا. نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما﴾ وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الآيتين، وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا فى الدار الآخرة كقوله ﴿كم لبثتم في الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين. قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾ وقوله ﴿يتعارفون بينهم﴾ أى يعرف الأبناء الآباء والقرابات بعضهم لبعض كما كانوا فى الدنيا ولكن كل مشغول بنفسه. ويل للمكذبين لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين الذى فرق بين الإنسان وأحبته يوم الحسرة والندامة.

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم. جـ٢ ص ١٣١.

١١٦- اليوم وخمسين ألف سنة للصعود إلى الله

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة :المعارج].

فى هذه الآية بيان ارتفاع تلك المعارج (المصاعد). أى أنها لو قدر قطعها فى زمان لبلغ خمسين ألف سنة. وقيل ذلك اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة هو يوم القيامة.

والمعارج: هى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح. (تعرج) أى تصعد، والروح، جبريل عليه السلام. فى يوم (هو يوم القيامة).

وعن الإمام أحمد قال: قيل لرسول الله ﷺ: ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله ﷺ (والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا). وعن ابن عباس قال: هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقداره خمسين ألف سنة.

١١٧- اليوم وشهادة اللسان والأيدي والأرجل ورمي المحصنات:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة : النور].

(المحصنات) العفيفات. (لعنوا) أى بعدوا عن رحمة الله. (دينهم الحق) أى جزاؤهم المستحق، والدين هنا بمعنى الجزاء.

نزلت هذه الآية في أبى بكر فإنه كان ينفق على مسطح، فلما اختلق الإفك على عائشة أقسم لا ينفق عليه قط، فنزلت هذه الآية تحثه على العودة على الإنفاق عليه.

إن الذين يرمون العفيفات الغافلات المؤمنات بالتهم الباطلة لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم. يوم تشهد عليهم أعضاؤهم التي أعملوها فى عصيان الله، وتعرف هذه الأعضاء بما كلفوها من المنكرات. يومئذ يوفهم الله جزاءهم المستحق، ويعلمون أن الله هو الواجب الوجود الظاهر عدله(١).

(١) محمد فريد وجدى: المصحف المفسر. ص ٤٦٠.

وسبب نزول هذه الآيات هى عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذى ذكر فى هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن.

وفى بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهى والله أعلم(١).

١١٨- اليوم وافتراء الكذب على الله:

﴿ ومن أظلم ممن افتري علي الله كذبًا أو قال أوحي إليَّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آيته تستكبرون(٩٣) ﴾ [سورة: الأنعام].

يقول تعالى أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولداً أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يرسله.

وقال عكرمة وقتادة نزلت فى مسيلمة الكذاب أى ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحى مما يفتريه من القول. والظالمون فى سكرات الموت وغمراته وكرباته (والملائكة باسطوا أيديهم) أى بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ولهذا يقولون لهم (أخرجوا أنفسكم) وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتتفرق روحه فى جسده وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم كنتم تكذبون على الله وتستكبرون على اتباع آياته والانقياد لرسله.

١١٩- اليوم وأهل الكهف

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص ٢٧٦ و٢٧٧.

فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلاءِ
قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن
رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا
لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن
يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا
عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾
سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ
وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا
تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ
وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي
كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾

[سورة: الكهف]

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار (أم حسبت) يعنى يا محمد أن ليس أمرهم عجيبا فى قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف.. وعن ابن عباس الرقيم الجبل الذى فيه الكهف. وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من الحجارة

كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف. ويخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلـ جأوا إلي غار في جبل ليختفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين الله تعالى رحمته بهم وتسترنا عن قومنا (وهيىء لنا من أمرنا رشدا) أى وقدر لنا من أمرنا هذا رشدا أى اجعل عاقبتنا رشدا (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) أى ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة (ثم بعثناهم) أى من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدراهم معه ليشترى لهم طعاما يأكلونه (ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين) أى المختلفين فيهم (أحصى لما لبثوا أمرا) قيل عددا وقيل غاية. (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم) إنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى هم الشباب أما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل (وزدناهم هدى) أى زدناهم إيمانا والظاهر أنهم كانوا قبل النصرانية بالكلية (وربطنا على قلوبهم إذا قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض) أى وصبرنا وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة، وقيل أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك.

وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم وعرفوا قومهم يسجدون لأصنامهم والذبح لها لا ينبغى إلا لله الذى خلق السماوات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه فكان أول من جلس منهم كان تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان ورغم ذلك فإن كل واحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدرى أنهم مثله. ثم ابتدأوا يتنكرون ما فعله قومهم وغير مقتنعين بعبادة الأصنام وتوافقوا كلهم على اتخاذ معبد يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل (لن ندعو من دونه إلها) ولن ننفى التأييد أى لا يقع منا هذا أبدا ولهذا قال عنهم (لقد قلنا إذا شططا) أى باطلا وكذبا وبهتانا. ويقال إن ملكهم لما دعوه إلى

الإيمان بالله أبي عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة القوم وأجلهم لينظروا فى أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه. وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم فى تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة ﴿وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أى وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم فى عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضاً بأبدانكم.

(فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أى يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم (ويهيىء لكم من أمركم) الذى أنتم فيه (مرفقا) أى ما تنتفعون به فى عيشكم، فعند ذلك خرجوا هربا إلى الكهف فأووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش فى الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه. وقيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذى دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك. فإن الله تعالي أخبر الشمس أن تدخل عليهم فى الكهف بكرة وعشيا كما قال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) ففى هذا دليل على أن باب هذا الكهف كان نحو الشمال أى تميل فكلما ارتفعت فى الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال فى مثل ذلك المكان (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أى تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق (وهم فى فجوة منه) أى متسع من الكهف بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذى جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم (من يهد الله فهو المهتد) هو الله الذى أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) ذكر أهل العلم أنهم لما ضرب الله علي آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينا ويفتح عينا وقوله تعالى (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال بعض السلف يقلبون فى العام مرتين وإلا أكلتهم الأرض (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أى بفناء الكهف أو عتبة بابه ولو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبصارهم لم يفقدوا

من أحوالهم وهيآتهم شيئا وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم (كم لبثتم؟) أى كم رقدتم لأن كان دخولهم إلى الكهف فى أول النهار واستيقاظهم كان فى آخر النهار ولهذا استدركوا فقالوا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ثم عدلوا إلى الأهم فى أمرهم وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم) أى بدراهمكم المضروبة إلى مدينتكم التى خرجتم منها (فلينظر أيها أزكى طعاما) أى أطيب طعاما (وليتلطف) أى فى خروجه وذهابه وشرائه وإيابه (ولا يشعرن) أى ولا يعلمن بكم أحداً (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم) أى إن علموا بمكانكم (يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم) يعنون أصحاب دقيانوس خافون منهم أن يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم فى ملتهم فلا فلاح لكم فى الدنيا والآخرة. (وكذلك أعثرنا عليهم) أى أطلعنا عليهم الناس (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) يقال قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة، وقالت طائفة منهم أن تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك. وعندما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة فى شراء شيء لهم ليأكلوه وهو يظن أنه قريب العهد والزمن بالناس ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من دراهم، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها (لأنها من ٣٠٩ سنوات مضت) فدفعها ذلك الرجل إلى جاره وجعلوا يقولون لعل هذا وجد كنزاً فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ أجاب أنه من نفس البلدة وأن الملك هو دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى أمرهم فسأله عن شأنه وخبره. حتي أخبرهم بأمره وبعدها قاموا معه إلى الكهف ملك البلد وأهلها حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعونى أتقدمكم فى الدخول لأعلم أصحابى فدخل ثم دخل الملك ومن معه وسلم عليهم واعتنقهم وكان مسلما فيما قيل واسمه تندوسيس ففرحوا به وآنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل. (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أى فى أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) أى سدوا عليهم باب كهفهم واتركوهم على حالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) يقال إنهم المسلمون والقول الآخر إنهم أهل الشرك والله أعلم وقوله تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم...) الآية والصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة

وهو ظاهر الآية وقوله (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) فلا تجادل فى عدتهم وشأنهم بمجرد تلاوة ما أوحى إليك في أمرهم ويا محمد لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله. واذكر ربك إذا نسيت، وقل أرجو أن يهدينى ربى إلى علم أقرب من هذا رشدا. ومكث أهل الكهف فى كهفهم تسعاً وثلاثمائة من السنين بالهلالية وهى ثليمائة سنة بالشمسية فإن تفاوت ما بين كل ثلثمائة سنة بالقمرية إلى الشمسية إلى ثلاث سنين. فقل لمن يجادل فيهم: الله أعلم بما مكثوا له غيب السماوات والأرض ما أبصره بما يحدث فى ملكه، وما أسمعه لما يدور من الكلام بين الناس بشأنه إيمانهم من دونه من ناصر ولا يشرك فى حكمه أحدا.

١٢٠ـ اليوم ونور المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) ﴾

[سورة :الحديد]

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم فى عرصات القيامة بحسب أعمالهم. وقوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة. وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول: (من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى أن المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه) وعن جنادة بن أبى أمية قال إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ (يسعى نورهم بين أيديهم) يعنى على الصراط وقوله (وبأيمانهم) أى وبأيمانهم كتبهم.

(خالدين فيها) أى ماكثين فيها أبدا. وقوله تعالى (انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) وهى خدعة الله التى خدع بها المنافقين حيث قال (يخادعون الله وهو خادعهم).

فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب). وعن أبى أمامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلي المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم فإنا كنا معكم فى الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراءكم) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك السور وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو حائط بين الجنة والنار «باطنه فيه الرحمة» أى الجنة وما فيها (وظاهره من قبله العذاب) أى النار.

وقال ابن أبى حاتم رحمة الله عليه.. عن النبى ﷺ قال: (أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى فأعرف أمتى من بين الأمم فقال له رجل يا نبى الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال أعرفهم محجلين من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم.

١٢١- اليوم ودعوة كل أناس بإمامهم وتسلم الكتاب:

﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) ﴾ [سورة: الإسراء].

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم وقال قتادة وبعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبى ﷺ وقال ابن عباس (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أى بكتاب أعمالهم وقال الضحاك هذا القول هو الأرجح لقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أى كل قوم بمن يأتمون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وقال تعالى أيضاً (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون. هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهذا لا

ينافى أن يجاء بالنبى إذا حكم الله بين أمته فإنه لابد أن يكون شاهدا على أمته بأعمالها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم) أى من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويحب قراءته. وقوله تعالى (ولا يظلمون فتيلا) قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل فى شق النواة. (ومن كان فى هذه) أى فى الحياة الدنيا (أعمى) أى عن حجة الله وآياته وبيناته (فهو فى الآخرة أعمى) أى كذلك يكون (وأضل سبيلا) أى وأضل منه كما كان فى الدنيا عياذاً بالله من ذلك.

١٢٢- اليوم وجمع الناس يوم القيامة

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة: هود].

(ذلك يوم مجموع له الناس) أى أولهم وآخرهم كقوله (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) (وذلك يوم مشهود) أى عظيم تحضره الملائكة ويجتمع فيه الرسل وتحشر الخلائق بأسرهم من الإنس و الجن والطير والوحوش والدواب ويحكم فيه العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، وقوله (وما نؤخره إلا لأجل معدود) أى ما نؤخره إقامة القيامة إلا أنه قد سبقت كلمة الله فى وجود أناس معدودين من ذرية آدم وضرب مدة معينة إذا انقطعت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم قامت الساعة، وقوله (وما نؤخره إلا لأجل معدود) أى لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينقص منها.

وآية أخرى تقول ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [سورة: آل عمران]. بمعنى ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة لا شك إنك لا تخلف الميعاد.

١٢٣- اليوم والآيات العشر قبل قيام الساعة والحشر:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [سورة: محمد]

وعن أبى حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: (ما تذاكرون؟)، قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات) فذكر:

١ - خسف بالمشرق.

٢ - خسف بالمغرب.

٣ - خسف بجزيرة العرب.

٤ - الدخان.

٥ - المسيخ الدجال.

٦ - نزول عيسى عليه السلام.

٧ - خروج يأجوج ومأجوج.

٨ - طلوع الشمس من المغرب.

٩ - خروج الدابة والكلام مع الناس فى آخر الزمان.

١٠ - خروج النار من أرض الحجاز.

قال رسول الله ﷺ [١]: (إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء. قيل: وما هى يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا[٢] والأمانة مغنما[٣] والزكاة مغرما[٤] وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات فى المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور، ولبس الحرير واتخذت القينات[٥] والمعازف[٦] ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا[٧]).

(١) أخرجه أبو عيسى والترمذى.
(٢) أى تكون الغنيمة لقوم دون قوم أى يستأثر بها الأغنياء وأصحاب المناصب.
(٣) أى يذهب الناس بودائع بعضهم وأماناتهم فيتخذونها كالمغانم يغنمونها ولا يؤدونها.
(٤) أى يشق على من تجب عليه الزكاة أداؤها فيعد إخراجها غرامة.
(٥) القينات: أى المغنيات.
(٦) المعازف: المزامير والدفوف وآلات الموسيقى.
(٧) أخرجه الترمذى (٩/٥٨) وقال: هذا حديث غريب.

ويقول القرطبي: (إن أول الآيات: الخسوفات، فإذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجا إلى مكة، وزار قبر الرسول ﷺ يرسل الله ريحا عنبرية فتقبض روح عيسى عليه السلام ويدفن مع النبي ﷺ في روضته ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة وتستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الإسلام، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف[1] .ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجراً حجراً ويرمون بالحجارة في البحر[2] .ثم تخرج دابة الأرض تكلمهم، ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافرون والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحا من اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك فتقبض روح المؤمن والمؤمنة، وتبقى شرار الناس، ويكون الرجال لا يشبعون من النساء، والنساء لا يشبعن من الرجال[3] . ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم فى البحر، وهكذا ذكر بعض العلماء الترتيب فى الأشراط، وفيه بعض اختلاف).

الخسوفات الثلاثة:

أما الخسوفات الثلاثة فهى من علامات الساعة وهى (خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب).

وتعتبر الزلازل من صور وأسباب الخسف قبل يوم القيامة وقد صح فى الحديث: (لا تقوم الساعة حتى تكثر الزلازل).

---

(١) عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: يدرس الإسلام -أى يهلك وينتهى، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على الكتاب (القرآن) أى يذهب بالليل ورفع القرآن والإسلام إنما هو قبل نزول عيسى وليس بعده، لأنه عليه السلام ينزل مجدداً لما دس من هذه الشريعة (تذكرة القرطبى. ص ص ٧٣٧و٧٣٨).

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) رواه البخارى فى الحج باب هدم الكعبة برقم (١٥٩٦)، ذو السويقتين: أى له ساقان دقيقان.

(٣) (إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل والزنا وشرب الخمر، وتقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد). رواه البخارى فى كتاب العلم برقم (٨١).

٤ - الدخان:

وهو أحد علامات الساعة حيث يقول تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)﴾ [سورة: الدخان] أى بل هم فى شك يلهون، (فارتقب) أى فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان مبين) أى يوم شدة ومجاعة، فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره، أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار، أو لأن العرب تسمى الشر المتفاقم دخانا، وظهور الدخان المعدود من علامات القيامة فيكشف عنهم العذاب فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم. وعنه ﷺ (يملأ الدخان ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة. أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره)[(١)].

٥ - طلوع الشمس من المغرب:

﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون(١٥٨) ﴾ [سورة: الأنعام].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين (لا ينفع نفسا إيمانها) ثم قرأ الآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

وعن أبى ذر جندب بن جناده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت؟ قلت: لا أدرى! قال: إنها تنتهى دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعى فيوشك يا أبا ذر أن يقال لها ارجعى من حيث جئت، وذلك حين (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل).

٦ - خروج النار من أرض الحجاز:

قال العلماء: وهذا الحشر فى آخر الدنيا قبيل القيامة وقبيل النفخ فى الصور بدليل قوله ﷺ: (بقيتهم النار تبيت معهم وتقبل وتصبح وتمسى).

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: جـ٤ ص ١٣٩.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى)[1].

وهذا آخر أشراط الساعة: وهذه النار هي المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم[2].

١٢٤ـ اليوم والمسيخ الدجال:

الدجال أى الكذاب. وفى حديث ابن عمر أنه جسيم أحمر (أى عظيم الجثة) جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية[3] وعن رسول الله ﷺ:(مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم[4]). وأن هذه الكتابة على ظاهرها وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب(٥). وعن رسول الله ﷺ أنه قال «يمكث فى الأرض أربعين صباحا، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتى أربعة مساجد: الكعبة ومسجد الرسول والأقصى والطور)[6] وسوف يكون العرب قلة فى العدد ويفرون إلى الجبال من الدجال. وقبل خروج الدجال فيأمر الله السماء أن تحبس ثلث مطرها وكذلك الأرض تحبس ثلث نباتها لمدة ثلاث سنوات، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله فقيل: فما يعيش الناس فى ذلك الزمان ؟ قال: التهليل والتكبير، والتسبيح، والتحميد، ويجرى ذلك عليهم مجرى الطعام[7]، وعن رسول الله ﷺ قال: (إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان)[8].

---

(١) رواه البخارى فى الفتن باب خروج النار برقم (٧١٨) ومسلم فى الفتن برقم (٤٢). بُصرى: بلد بالشام وهى حوران.

(٢) انظر فتح البارى (١١/٣٨٦-٣٨٩) شرح النووى مسلم (١٧/١٩٤-١٩٥).

(٣) رواه البخارى فى الفتن باب ذكر الدجال برقم (٧١٢٨).

(٤)أخرجه مسلم فى الفتن (١٠٣).

(٥) المراد أن المؤمنين هم الذين يقرأون ما بين عينيه دون سواهم.

(٦) المسند (٥/٣٦٤و٤٣٤).

(٧) مجدى محمد الشهاوى : الآيات العشر قبل الساعة والحشر . ص ص ٣٨و٣٩.

(٨) الحديث فى مسند الإمام أحمد (١/٧) وسنن الترمذى (٩/٩٠).

قال القاضى عياض: الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجودة، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذى يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره، ويقتله عيسى عليه السلام[(١)]. والدجال لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعى الإلهية، وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يعترف به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفقر، لأن فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره فى الأحداث فلا يعطى فرصة لضعفاء الإيمان حتى يتأملوه، أما أهل الإيمان بالقرآن والأحاديث النبوية فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه.

وقال العلماء: وهذا من جملته فتنة امتحن الله تعالى به عباده ليحق الحق ويبطل الباطل ثم يفضحه ويظهر للناس عيوبه وعجزه.

وكان عليه ﷺ يتعوذ فى الصلاة يقول: (اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيخ الدجال)[(٢)].

---

(١) مجدى محمد الشهاوى : الآيات العشر قبل الساعة والحشر . ص ص ٤١و٤٢ .
(٢)رواه البخارى فى الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر برقم (١٣٧٧).

١٢٥- اليوم ونزول عيسي عليه السلام:

عن أبي هريرة – رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)، ثم يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴿١٥٩﴾﴾ [١] (سورة: النساء).

(يكسر الصليب) يبطل دين النصرانية ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه. (يضع الجزية) لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل (يفيض المال): يكثر وتتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم.

يبعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق (عاصمة جمهورية سوريا)، وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ (يفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام. يعنى خروج الدجال الملعون فيأتيهم الدجال فيحاصرهم -فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً، ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادى من السحر (قبل الفجر) فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم من الخروج إلى الكذاب الخبيث، فيقولون: هذا رجل جنىّ، فينطلقون، فإذ هم بعيسى ابن مريم[٢]، ثم يصلى الصبح خلف إمام المسلمين مهدى رجل صالح، فى ذلك العصر.

وبعد أن يصلى بهم إمامهم يقول عيسى عليه السلام: (افتحوا الباب، فيفتح ووراه الدّجال معه ألف يهودى كلهم ذو سيف مُحلى وساج (الطيلسان الأخضر) فإذا نظر إليه الدجال، ذاب [الملعون] كما يذوب الملح فى الماء، وينطلق هاربا، ويقول عيسى: إن لى فيك ضربة تستبقى بها، فيطلبه حتى يدركه عند باب اللد الشرقى[٣]. فيقتله ، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا دابة -إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق- إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعالى اقتله[٤].

١ – الحديث رواه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى ابن مريم برقم (٣٤٤٨).

٢ – المسند (٣/٣٦٧-٣٦٨).

٣ – بلدة قريبة من بيت المقدس. انظر الحديث الطويل الذى رواه مسلم فى كتاب الفتن برقم(١١٠).

٤ – سنن ابن ماجة برقم (٤٠٧٧) عن أبى أمامة الباهلى.

وفي رواية: (ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله فى زمانه الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم)[١].

بعد قتل الدجال على يد عيسى ابن مريم عليه السلام يخرج حاجاً إلى مكة، فإذا قضى حجه انصرف إلى زيارة قبر الرسول ﷺ وبعدها سوف يرسل الله ريحا عنبرية فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيموت عيسى عليه السلام ويدفن مع النبى ﷺ فى روضته[٢]،ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة وتستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الإسلام، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها ويرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف، ثم تأتى الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجراً حجراً ويرمون بالحجارة فى البحر، ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم، ثم يأتى دخان يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام، وأما الكافر فيدخل فى أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم، ثم يبعث الله ريحاً من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك فتقبض روح المؤمن والمؤمنة، وتبقى شرار الناس، ويكون الرجال لا يشبعون من النساء والنساء لا يشبعن من الرجال، ثم يبعث الله الرياح فتقلبهم فى البحر[٢].

١٢٦- اليوم وخروج يأجوج ومأجوج:

عن النبى ﷺ قال: (ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه –من الدجال– فيمسح عن وجوههم[٣]. ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنى قد أخرجت عباداً لى لا يدان[٤] لأحد بقتالهم، فحرز[٥]عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية[٦] فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر

---

١ – المسند (٢/٤٠٦).

٢ – مجدى محمد الشهاوى: الآيات العشر قبل الساعة والحشر: ص ص ٩و١٠.

٣ – يحتمل أن هذا المسيح حقيقة على ظاهره تبركاً وبرأ، كما يدل على كشف الشدة والخوف.

٤ – لا قدرة ولا طاقة.

٥ – أى ضمهم واجعله لهم حرزا.

٦ – طبرية : بحيرة قرب البحر الميت فى فلسطين.

نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم)[1].

وعنه ﷺ قال: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج ، وحلق باصبعيه الإبهام والتى تليها)[2]. قالت زينب بنت جحش: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث)[3].

وقال تعالى ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩)﴾ [سورة: الكهف]

وذكر أخبار بنى اسرائيل أن ذا القرنين عاش ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض (وجدها تطلع على قوم)، أى أمة (لم نجعل لهم من دونها سترا) أى ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس وأكثر معيشتهم من السمك. وقوله (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى أن الله مطلع على جيشه وأحواله.. وهذا السد الذى بناه ذو القرنين يمنع من خروجهم على الناس إلى ما قبل يوم القيامة.

وهذا السد موجود اليوم فى مضيق داريال بجمهورية جورجيا السوفيتيةوقد استخدمت تشييده قطع الحديد الكبيرة وأفرغ عليه النحاس المنصهر، كما وصفه القرآن تماماً، وهذا

١ – رواه مسلم فى الفتن برقم (١١٠).

٢ – أى جعلهما مثل الحلقة، بضم أطرافهما.

٣ – أخرجه البخارى فى الفتن باب يأجوج ومأجوج برقم (٧١٣٥).

السد عبارة عن جبال شاهقة تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين التى تمتد لتصل بين البحرين طوال ١٢٠٠ كيلو مترا، وهى جبال التوائية حديثة التكوين.

وكيف أن هؤلاء القوم يأجوج ومأجوج يحاصرون عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام -وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله عليهم النغف[١] فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت[٢] نفس واحدة، ثم يهبط نبى الله عيسى عليه السلام- وأصحابه رضى الله عنهم إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٣] ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام - وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل طيراً كأعناق البخت[٤]. فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله[٥].

وتفسير آخر لابن كثير كالآتى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) ﴾ [سورة: الأنبياء].

يأجوج ومأجوج هم قوم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أى أبى الترك والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذى بناه ذو القرنين (وهم من كل حدب ينسلون) أى يسرعون فى المشى إلى الفساد، والحدب هو المرتفع من الأرض. قال الإمام أحمد.. وعن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) فيغشون الناس وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم

---

١ - النغف: دود يصيب الغنم والإبل فى أنوفهم.
٢ - فرسى: قتلى
٣ - ريحهم المنتنة.
٤ - الإبل.
٥ - رواه مسلم فى الفتن برقم (١١٠).

بقى أهل السماء، قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترج إليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبينما هم على ذلك بعث الله عزو وجل دودا فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج من أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشترى نفسه فينظر مافعل هذا العدو، قال فينحدر رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطنها على أنها مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين ألا أبشروا أن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط وقوله (واقترب الوعد الحق) يعنى يوم القيامة إذا حصلت هذه الأهوال والزلازل والبلابل أزفت الساعة واقتربت فإذا كانت ووقعت قال الكافرون هذا يوم عسر. ولهذا قال تعالى (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) أى من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام (يا ولينا) أى يقولون يا ويلنا (قد كنا فى غفلة من هذا) أى فى الدنيا (بل كنا ظالمين) يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعهم ذلك.

١٢٧- اليوم وخروج الدابة والكلام مع الناس في آخر الزمان:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ (٨٢)﴾ [سورة: النمل].

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها، ويروي عن على رضى الله عنه تكلمهم كلاما أى تخاطبهم مخاطبة. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر).

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر ومالها ذنب ولها لحية، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها، وقال ابن جريج فوصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتت فى وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتعشوا تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولايبق كافر إلا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان

فتفشو تلك النكتة حتى يسود وجهه حتى إن الناس يتبايعون فى الأسواق بكم ذا يا مؤمن بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة؟ ويا فلان أنت من أهل النار.

١٢٨- اليوم وأربعة عشر آية يوم القيامة:

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) ﴾ [سورة : التكوير].

قال رسول الله ﷺ (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (إذا الشمس كورت - وإذا السماء انفطرت - وإذا السماء انشقت).

(إذا الشمس كورت) أى أزيل ضياؤها أو لفت وطويت، (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت وتهاوت، (وإذا الجبال سيرت) أى أزيلت عن مواضعها فتركت الأرض قاعا صفصفا. (وإذا العشار عطلت) النوق الحوامل أهملت بلا داع أى تركت وسيبت والمقصود أن العشار من الإبل وهى خيارها والحوامل التى وصلت إلى الشهر العاشر. (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت من كل صوب. (وإذا البحار سجرت) أوقدت فصارت ناراً تضطرم. (وإذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها. وقيل زوجت بالأبدان. (وإذا الموءودة سئلت. بأى ذنب قتلت) البنت التى تدفن حية. والموءودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات فيوم القيامة تسأل الموءودة عن أى ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟. (سئلت) أي سألت أى طالبت بدمها. وعن خنساء بنت معاوية الصريمية عن عمتها قالت قلت يا رسول الله من فى الجنة؟ قال (النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والمولود فى الجنة والموءودة فى الجنة) (وإذا الصحف نشرت) أى صحف الأعمال فرقت بين أصحابها، وقال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته.

(وإذا السماء كشطت) قلعت كما يقلع السقف أى تذهب. (وإذا الجحيم سعرت) أوقدت وأضرمت للكفار وقال قتادة إنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم (وإذا الجنة أزلفت) قربت وأدنيت من المتقين، وقيل أنها قربت إلى أهلها. (علمت نفس ما أحضرت) ما عملت من خير أو شر (جواب إذ) كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر).

١٢٩ـ اليوم وذكر الله

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾ [سورة: الأعراف].

يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيرا كما أمر بعبادته فى هذين الوقتين فى قوله (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) قد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء.. وقال ههنا بالغد ووهو أول النهار والآصال جمع أصيل، وأما قوله (تضرعا وخيفة) أى اذكر ربك فى نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً ولهذا قال (ودون الجهر من القول) وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهراً بليغاً، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقال: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان). وقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) فإن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبوه وسبوا من أنزله وسبوا من جاء به، فأمره الله تعالى أن لا يجهر به لئلا ينال منه المشركون ولا يخافت به عن أصحابه فلا يسمعهم، وليتخذ سبيلا بين الجهر والاسرار. والمراد من ذلك الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين.

ملحوظة(١):

وللأسف والمتبع فى هذه الأيام فى مناسبات الوفاة (أو الذكرى السنوية أو الأربعين وهى عادات غير إسلامية) يذاع فيها آيات القرآن الكريم فى مكبرات الصوت مما يقلق الجيران وهذا منهى للأسباب الآتية:

---

(١) المؤلف.

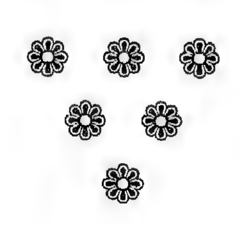
١ – جار مريض ويطلب الراحة والهدوء.

٢ – جار طالب علم يريد أن يذاكر دروسه ويريد الهدوء للتركيز.

٣ – جار مسيحي لا يريد أن يسمع كلام الله ويمكن أن يسب الله وكلام القرآن وعادات المسلمين والعياذ بالله.

٤ – جيران آخرون لا يريدون الإنصات لكلام الله لأن ظروفهم المختلفة لا تسمح بذلك مثل مشاهدة المرئي (التليفزيون) والحديث بين أفراد الأسرة... الخ حيث يقول تعالى ﴿إذا قرىء القرآن فاستمعوا إليه وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾.

فالمفروض أن يذاع كلام الله في هذه المناسبات بدون مكبرات الصوت وفي هذا احترام لكلام الله واحترام أيضاً لمشاعر الجيران المسلمين وغير المسلمين ومراعاة لحقوق الجوار كقوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ (٣٦)﴾ [سورة :النساء] وإنما تستخدم مكبرات الصوت في الإعلان عن إقامة الصلوات الخمس وهو الأذان وخطبة الجمعة وإنما ما عدا ذلك لا تستخدم مكبرات الصوت.



الخاتمة

بعد استقرائنا لهذا الكتاب (الزمن بين الدنيا والآخرة) سواء بإلقاء نظرة عليه أو قرىء بإمعان، فبلاشك نستطيع أن نعيد النظر فى سلوكياتنا اليومية التي يجب أن تكون خالية من الحقد والبغضاء والحسد والنفاق والطمع والجشع وحب الذات والاعتداء على الغير بدون وجه حق... إلخ.

وعلينا أن نعمل الخير للناس حيث يقول الله تعالى (خلق الموت والحياة ليبولكم أيكم أحسن عملا) وعلينا أيضا أن نضع فى الاعتبار مرور الزمن الذى نعيش نحن الناس فيه ونحس به: فهو يوم مضى لا يعود إليك ويوم أنت وجميع المخلوقات فيه ولا يدوم علينا، ويوم المستقبل لا ندرى ما حاله لأنه غيب نسبى وكلى.

واعلم أيها القارىء العزيز أن المقصود بهذا الكتاب هو عمل بقول الله تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

* هيا بنا نعيد النظر فى سلوكياتنا اليومية لنجعلها سلوكا حسنا فى التعامل مع الآخرين.

* هيا بنا نستغفر الله ونتوب إليه من عمل غير صالح مضى قبل إتيان الله حيث يقول: (يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من آتى الله بقلب سليم) وهو عدم الشرك بالله.

* هيا بنا نوحد الله تعالى وننزهه ونذكره بأسمائه الحسنى وقراءة القرآن إذا تعرضنا لأزمات نفسية أو غضب مفاجىء، فالله سبحانه وتعالى خالق النفس البشرية وأعلم بها فوضع علاجا لها وهو ذكر الله كثيراً وجعل للإنسان فترة زمنية ألا وهى حياته الدنيوية ليمارس فيها عبادة الله بأوامره ونواهيه فى كتابه القرآن الكريم.

* هيا بنا إلى جعل سلوكياتنا اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية أكثر طاعة لله وسنة رسوله ﷺ لما فيه الخير والسعادة فى الحياة الدنيا وحياة القبر وحياة الآخرة.

وأختم كلامى بهذه الآية الكريمة: ﴿...ولتنظر نفس ما قدمت لغد(١٨)﴾

[سورة: الحشر]

المراجع العربية والأجنبية المختارة

– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم

– أحمد تيمور باشا: الأمثال العامية

– الطاهر أحمد الزاوى: مختار القاموس

– إلياس وإدوارد إلياس: القاموس العصرى (عربى – انجليزى)

– الإمام النووى: رياض الصالحين

– إبراهيم أحمد العدوى: تاريخ الوطن العربى وحضارته

– أبى عباس بن الشمس: النفحة الأحمدية فى بيان الأوقات المحمدية.

– أحمد بهجت: الكاتب الصحفى الكبير – مصر

– أحمد عبدالفتاح بدر: أهوال القبور – مكتبة ابن سينا ١٩٩١.

– اللواء سعيد صبور: التقويم (مترجم) – القاهرة.

– الموسوعة المختارة – بيروت – مكتبة سمير

– حسنين محمد مخلوف: كلمات القرآن تفسير وبيان.

– شرح الأربعين النووية فى شرح الأحاديث الصحيحة النبوية.

– عبدالغنى النابلسى: تعطير الأنام فى تعبير المنام.

– عبدالغنى عبدالرحمن محمد: كيف تستثمر وقت فراغك – دار الفكر العربى.

– د. عبدالفتاح وهيبة: جغرافية العرب فى العصور الوسطى.

– عبداللطيف عاشور: أبى حامد الغزالى ـ سكرات الموت وشدته. مكتبة القرآن.

– عبداللطيف عاشور: المسيخ الدجال حقيقة لا خيال. ١٩٧٧ – مكتبة القرآن.

– د. عبد المنعم النمر: القرآن والحياة.

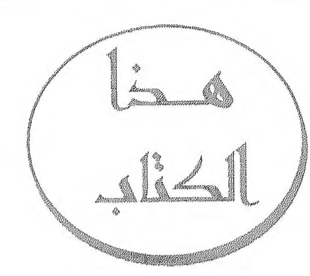
- د. محمد إسماعيل على: الوقت عند الفراعنة - القاهرة.
- محمد فريد وجدى: المصحف المفسر.
- محمد متولى الشعراوى: معجزة القرآن.
- محمد متولى الشعراوى: يوم القيامة.
- منصور على ناصف: التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ﷺ.
- د. أحمد فؤاد باشا: الزمن.
- د. فتحى العيوطى: قواعد الجغرافية العامة.
- د. ميلاد حنا: قصة التقويم الميلادى.
- محمد على عبدالرحيم: الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.
- د. يوسف القرضاوى : الأستاذ بجامعة الأزهر.
- أبى حامد الغزالى: شرح أسماء الله الحسنى (تحقيق محمد عثمان الخشت).
- ابن كثير: قصص القرآن - تحقيق : مجدى محمد الشهاوى - مكتبة القرآن
- محمد عبدالرحمن عوض: أحكام الجنازة - دار الكتاب العلمية -إمبابة.
- مجدى محمد الشهاوى: الآيات العشر قبل الساعة والحشر - دار الطلائع.
- محمد إبراهيم سليم: يوم الفزع الأكبر ١٩٨٥ - مكتبة القرآن.
- مصطفى عاشور: القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر ١٩٨٧ - مكتبة القرآن.
- وزارة التربية والتعليم: الشيخان (الصديق أبو بكر والفاروق عمر)
- Monir Al -Balabaki: Al - Mawrid - A Modern English Dictionary ١٩٧٦,

المحتويات

كتب للمؤلف

١ - تأملات فى بعض الأوامر والنواهى فى القرآن والسنة- (باللغتين العربية والانجليزية) - [الطبعة الثانية]	مكتبة مدبولى
٢ - زوجات الرسول ﷺ وحكمة تعددهن - (باللغتين العربية والانجليزية)	مكتبة مدبولى
٣ - كيف تستثمر وقت فراغك (أربعة أجزاء - (الطبعة الثانية)	دار الفكر العربي
٤ - مكة أم القرى .. لماذا؟	دار الفكر العربي
٥ - تعليم الصلاة والصلاة لوقتها - (الطبعة الثانية)	دار الفكر العربى
٦ - العين بين السعادة والشقاء	دار الفكر العربي
٧ - القلب بين السعادة والشقاء	دار الفكر العربي
٨ - الأذن بين السعادة والشقاء	دار الفكر العربي
٩ - الجلد بين السعادة والشقاء	دار الفكر العربي
١٠ - اللسان بين السعادة والشقاء	دار الأندلس
١١ - دراسة فى فن التعريب والترجمة	الأنجلو المصرية
١٢ - سيناء أرض التاريخ والبطولات	مكتبة المعرفة
١٣ - البحر الأحمر والأطماع الدولية	مكتبة الجهاد
١٤ - الدليل الجغرافى للعالم	هيئة الكتاب





يتحدث عن مخلوق لا يُرى وهو الزمن وفيه وجدت الحياة التى تعيش فيها جميع الكائنات مثل عالم الانسان والحيوان والنبات والجماد، وعالم الملائكة وعالم الجن وعالم السماوات ... إلخ

هذا الكتاب تحذير للإنسان من آخرته بمعنى أن الله تعالى خلقه لفترة محدودة داخل هذا الزمن للعمل لمعيشة نفسه حيث يقول تعالى ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾، ثم خلق له جميع الكائنات المذكورة أعلاه وسخرها جميعا له مقابل عبادته حيث يقول تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

هذا الكتاب يذكّر الإنسان المؤمن بوحدانية الله بأن يعمل جاهدا بما جاء فى كتابه العزيز القرآن الكريم وسنة رسوله الصادق الأمين.

هذا الكتاب يحذر الإنسان من الغفلة التى يعيش فيها ويوم الحساب الذى ينتظره حيث يقول الله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون﴾

هذا الكتاب يذكّر الإنسان بأهمية بالغة لمواجهة يوم الحساب ... ماذا فعلنا فى حياتنا الدنيا؟ وماذا أعددنا ليوم الحساب؟ لهذا قال الله تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ ماذا قدمْت لآخرتك؟ ... فكّر فى الموتى الذين تسمع عنهم أو تراهم أين هم ذاهبون؟ إنهم ذاهبون ليوم الحساب .. حيث يقول النبى ﷺ أعمل لآخرتك كأنك تموت غدا واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ... والله الهادى ...

الناشر